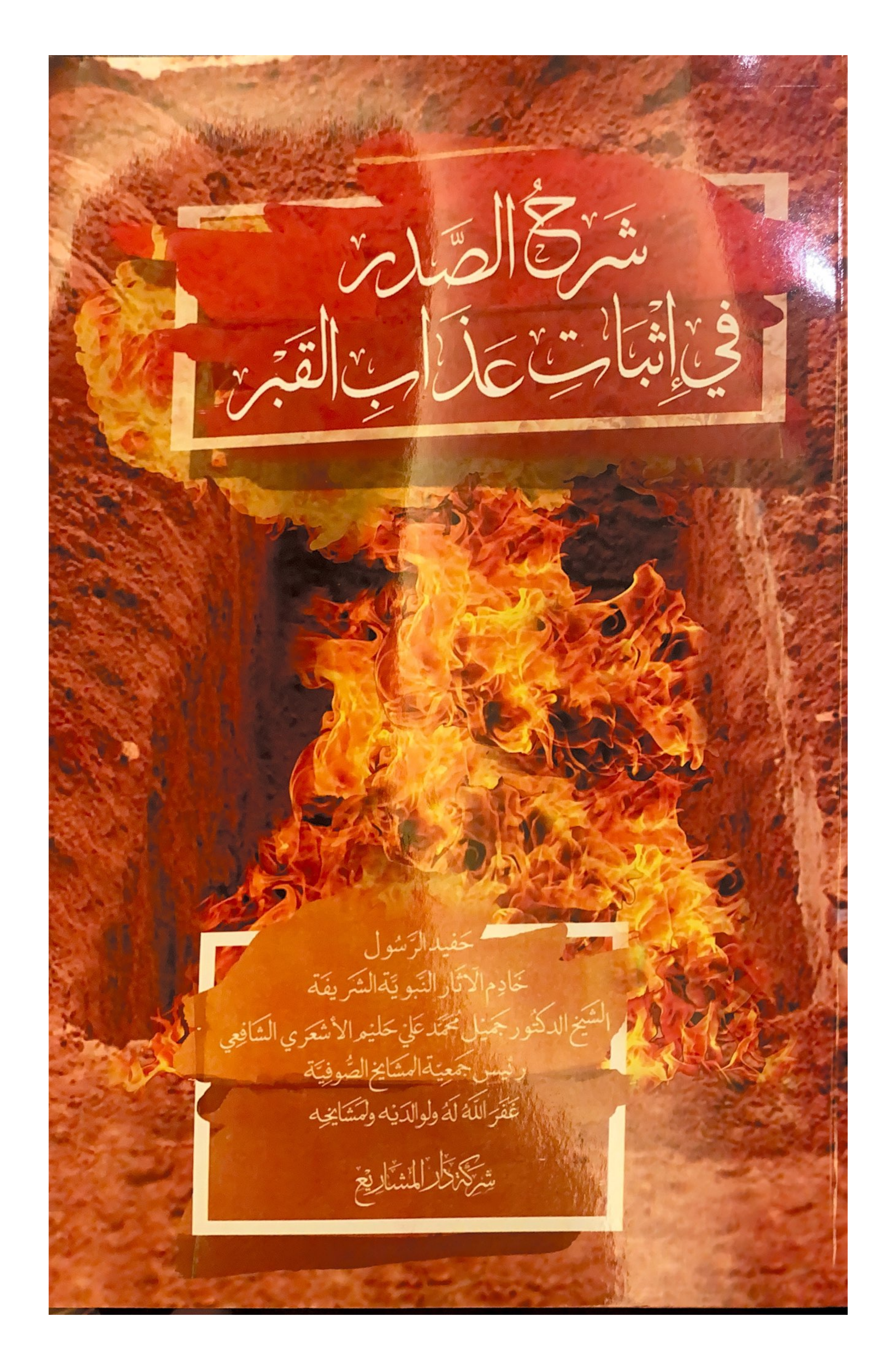

شرح الصدر
في إثبات عذاب القبر
حفيد الرسول
خادم الآثار النبوية الشريفة
الشيخ الدكتور جميل محمد علي حليم الأشعري الشافعي
رئيس جمعية المشايخ الصوفية
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه
شركة دار المشاريع

شَرحُ الصَّدر

فِي إِثبَاتِ عَذَابِ القَبر

حَفِيدُ الرَّسُول

خَادِمُ الآثَارِ النَّبَوِيَّة الشَّرِيفَة

الشَّيخ الدُّكتور جَمِيل مُحَمَّد علي حَلِيم الأشعَرِيّ الشَّافِعِيّ

رئيسُ جمعيَّة المَشَايخ الصُّوفيَّة

غَفَرَ اللهُ لَهُ ولوالِدَيهِ وَلِمَشَايِخِه

يقولُ الإمامُ الـمُزَنِيُّ:

«قرأتُ كتابَ الرسالةِ على الشَّافعيّ ثمانين مرة، فَمَا مِن مرةٍ إلَّا وكان يقفُ عَلَى خطأ، فقالَ الشَّافعيُّ: هِيه، أَبَى اللهُ أن يكونَ كِتابًا صحيحًا غير كِتَابِهِ».

أَخِي القارئُ الكريم،
مَا كَان من خطأ في كتابنا أَرْشِدنا إليهِ
فَإنَّنا لَا نَدَّعي العِصمة،
ونحن لكَ من الشَّاكرين.

التَّوطِئَة

الـميزان في بيان عَقِيدَة أهلِ الإيمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وشرَّف وكرَّم على سيِّدنا محمَّد، الحبيبِ المحبوبِ، العظيمِ الجاهِ، العالي القدرِ طه الأمين، وإمامِ المرسلينَ وقائدِ الغرِّ المحجَّلينَ، وعلى ذُرِّيته وأهلِ بيته الميامين المكرَّمين، وعلى زوجاته أمَّهات المؤمنين البارّات التقيَّات النقيَّات الطاهرات الصفيَّات، وصحابته الطيِّبين الطَّاهرين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد، فهذه عقيدة كل الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا، وهي المرجع الذي تُعْرض عليه عقائدُ الناس، فمن خالفها أو كذبها لا يكونُ من المسلمينَ، وهي ميزان الحقِّ الذي يَكْشِفُ زيْفَ الباطلِ وزيغَهُ، فكان لا بُدَّ من هذا البيان المهمِّ لخصوصِ الغَرضِ وعمومِ النَّفْعِ؛ وعليه:

اعلم أرشدَنا اللهُ وإياكَ أنهُ يجبُ على كلِّ مكلفٍ أن يعلمَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحدٌ في ملكِهِ، خلقَ العالمَ بأسرِهِ العلويَّ والسفليَّ والعرشَ والكرسيَّ، والسمـٰواتِ والأرضَ وما فيهمَا وما بينهُمَا. جميعُ الخلائِقِ مقهورونَ بقدرتِهِ، لا تتحرَكُ ذرةٌ إلا بإذنِهِ، ليس معهُ مُدَبِّرٌ في الخلقِ ولا شريكٌ في الملكِ، حي قيومٌ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ لا يخفى عليه شىء في الأرضِ ولا في السماءِ، يعلمُ ما في البرّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُهَا، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبينٍ. أحاطَ بكلِ شىء علمًا وأحصَى كلّ شىءٍ عددًا، فعالٌ لما يريدُ، قادرٌ على ما يشاءُ، له الملكُ وله الغِنى،

وله العِزُّ والبقاءُ، وله الحكمُ والقضاءُ، وله الأسماءُ الحسنى، لا دافعَ لما قضَى، ولا مانعَ لما أعطَى، يَفْعَلُ في ملكِهِ ما يريدُ، ويَحْكُمُ في خَلْقِهِ بما يشاءُ، لا يَرجُو ثوابًا ولا يخافُ عقابًا، ليس عليهِ حقٌّ يلزَمُهُ ولا عليهِ حُكْمٌ، وكلُّ نِعْمةٍ منْهُ فَضْلٌ وكل نِقْمةٍ منه عَدْلٌ، لا يُسألُ عمّا يَفْعَلُ وهم يُسْألونَ. مَوجودٌ قبلَ الخَلْقِ، ليسَ لهُ قبلٌ ولا بعدٌ، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أمامٌ ولا خلفٌ، ولا كلٌّ ولا بعضٌ، ولا يقالُ متَى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ، ودبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ، ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، ولا يشغَلُهُ شأْنٌ عن شأنٍ، ولا يلحقُهُ وهمٌ ولا يكتنِفُهُ عقلٌ، ولا يتخصَّصُ بالذّهنِ، ولا يتمثَّلُ في النفسِ، ولا يُتَصَورُ في الوهمِ، ولا يتكيفُ في العقلِ، لا تَلْحَقُهُ الأوهامُ والأفكارُ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى].

نقولُ جازمين معتقدِين صادِقين مخلِصين، بأنّا نشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصّمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، الذي لم يتخذْ صاحبةً وليس له والدٌ ولا والدةٌ، الأولُ القديمُ الذي لا يُشبِه مخلوقَاته بوجهٍ من الوجوه، لا شبيهَ ولا نظيرَ له، ولا وزيرَ ولا مُشيرَ له، ولا مُعينَ ولا ءامِرَ له، ولا ضِدَّ ولا مُغالِبَ ولا مُكْرِهَ له، ولا نِدَّ ولا مِثلَ له، ولا صورةَ ولا أعضاءَ ولا جوارحَ ولا أَدواتَ ولا أَركانَ له، ولا كيفيةَ ولا كميةَ صغيرةً ولا كبيرةً له فلا حَجْمَ له، ولا مِقدارَ ولا مِقياسَ ولا مِساحةَ ولا مَسافةَ له، ولا امتدادَ ولا اتّساعَ له، ولا جهةَ ولا حَيِّزَ له، ولا أَينَ ولا مكانَ له، كان اللهُ ولا مكان وهو الآنَ بلا مكان على ما عليهِ كانَ. تنزَّه ربّي عن الجلوسِ والقعودِ والاستقرارِ والمحاذاةِ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى استواءً منزهًا عن المماسةِ

والاعوجاجِ، خلقَ العرشَ إظهارًا لقدرتِهِ ولم يتَّخِذه مكانًا لذاتِهِ، ومن اعتقدَ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ فهو كافرٌ، الرّحمـٰنُ على العرشِ استوى كما أخبرَ لا كما يخطرُ للبشرِ، فهو قاهرٌ للعرشِ مُتَصرِّفٌ فيه كيف يشاءُ، تنزَّهَ وتقدَّسَ ربّي عن الحركةِ والسكونِ، وعن الاتصالِ والانفصالِ والقُربِ والبُعدِ بالحِسّ والمسافةِ، وعن التَّحوُّلِ والزّوالِ والانتقالِ، جلَّ ربّي لا تُحيطُ به الأَوهامُ ولا الظُّنونُ ولا الأفهامُ، لا فِكرةَ في الرَّبِّ، لا إلـٰه إلا هو، تقدَّسَ عن كلِّ صفاتِ المخلوقينَ وسِمَاتِ المحدَثينَ، لا يَمَسُّ ولا يُمَسُّ ولا يُحَسُّ ولا يُجَسُّ، لا يُعرَفُ بالحواسّ ولا يُقاسُ بالناس، نُوَحِّدُه ولا نُبَعِّضُه، ليس جسمًا ولا يتَّصِفُ بصفاتِ الأجسام، فالمجسِّم كافر بالإجماع وإن قال (الله جسمٌ لا كالأجسام) وإن صام وصلى صورةً، فالله ليس شبحًا، وليس شخصًا، وليس جوهرًا، وليس عَرَضًا، لا تَحُلُّ فيه الأعراضُ، ليس مؤلَّفًا ولا مُرَكَّبًا، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءٍ، ليس ضوءًا وليس ظلامًا، ليس ماءً وليس غَيمًا وليس هواءً وليس نارًا، وليس روحًا ولا له روحٌ، لا اجتماعَ له ولا افتراقَ، لا تجري عليه الآفاتُ ولا تأخذُه السِّنَاتُ، منزَّهٌ عن الطُّولِ والعَرْضِ والعُمْقِ والسَّمْكِ والتركيبِ والتأليفِ والألوانِ، لا يَحُلُّ فيه شيء، ولا يَنْحَلُّ منه شيء، ولا يَحُلُّ هو في شيء، لأنه ليس كمثله شيء، فمن زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان مُحدَثًا أي مخلوقًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، وهو معكم بعلمه أينما كنتم لا تخفى عليه خافية، وهو أعلم بكم منكم، وليس كالهواء مخالطًا لكم.

وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس

حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌ أبديٌ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام .كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، وكلَّم الله موسى تكليمًا، وكلامُه كلامٌ واحدٌ لا يتبعض ولا يتعدد ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، ليس مُبتَدَأً ولا مُختَتَمًا، ولا يتخلله انقطاع، أزليٌ أبديٌ ليس ككلام المخلوقين، فهو ليس بفم ولا لسان ولا شفاه ولا مخارج حروف ولا انسلال هواء ولا اصطكاك أجرام. كلامُه صفةٌ من صفاتِه، وصفاتُه أزليةٌ أبديةٌ كذاتِه، وصفاته لا تتغيّر لأنَّ التغيُّرَ أكبرُ علاماتِ الحدوثِ، وحدوثُ الصفةِ يستلزمُ حدوثَ الذاتِ، والله منزَّهٌ عن كل ذلك، مهما تصورت ببالك فالله لا يشبه ذلك، فصونوا عقائدَكم من التَّمَسُّكِ بظاهِرِ ما تشابه من الكتابِ والسنَّةِ فإنَّ ذلك من أصولِ الكفر، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ٧٤﴾ [سورة النحل]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ٦٠﴾ [سورة النحل]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ٦٥﴾ [سورة مريم]، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ [سورة النجم]، ومن زعم أن إلـهنا محدودٌ فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ، فالله تعالى ليس بقدر العرش ولا أوسع منه ولا أصغر، ولا تصِحُّ العبادة إلا بعد معرفة المعبود، وتعالى ربّنا عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد خرج

من الإسلام وكفر.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ٣﴾[سورة فاطر]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾[سورة الصافات]، ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ١٦﴾[سورة الرعد]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ٢﴾[سورة الفرقان]، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ما دخل في الوجود من أجسامٍ وأجرامٍ وأعمالٍ وحركاتٍ وسكناتٍ ونوايا وخواطر وحياة وموت وصحة ومرض ولذّة وألم وفرح وحزن وانزعاج وانبساط وحرارة وبرودة وليونة وخشونة وحلاوة ومرارة وإيمانٍ وكفر وطاعة ومعصية وفوز وخسران وتوفيق وخذلان وتحركات وسكنات الإنس والجن والملائكة والبهائم وقطرات المياه والبحار والأنهار والآبار وأوراق الشجر وحبات الرمال والحصى في السهول والجبال والقفار فهو بخلق الله، بتقديره وعلمه الأزلي، فالإنس والجن والملائكة والبهائم لا يخلقون شيئًا من أعمالهم، وهم وأعمالهم خلق لله، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ٩٦﴾[سورة الفرقان]، ومن كذَّبَ بالقدر فقد كفر.

ونشهد أن سَيِّدَنا ونبيَّنا وعظيمنا وقائدَنا وقُرَّة أعينِنا وغوثنا ووسيلتنا ومعلمنا وهادينا ومرشدنا وشفيعنا محمَّدًا عبدُه ورسولُه، وصفيُّه وحبيبُه وخليلُه، مَن أرسَلَه اللهُ رحمةً للعالمين، جاءنا بدين الإسلام ككُلِّ الأنبياء والمرسلين، هاديًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه قمرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنيرًا، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حقّ جهاده حتى أتاه اليقين، فعَلَّمَ وأرشدَ ونصحَ وهدى إلى طريق الحقِّ والجنَّة، صلى الله عليه وسَلَّم وعلى كلِّ رسولٍ أرسَلَه، ورضي الله عن ساداتنا وأئمتنا وقدوتنا وملاذنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر العشرة المبشرين بالجنة الأتقياء البررة وعن أمهات

المؤمنين زوجات النبي الطاهرات النقيات المبرآت، وعن أهل البيت الأصفياء الأجلاء وعن سائر الأولياء وعباد الله الصالحين.

ولله الفضل والمِنَّة أن هدانا لهذا الحق الذي عليه الأشاعرة والماتريدية وكل الأمة الإسلامية، والحمد لله رب العالمين.

تَمْهِيد

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على سيد المرسلين وحبيب ربِّ العالمين، قال الله تعالى في القرءان الكريم ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾، وقال جلَّ ذكره ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾، وقال عزَّ وجلَّ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾، وقال تبارك وتعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾، وقال عزَّ من قائل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاس رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»، وعن حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ:

«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»** قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**.

أما بعد، فإنَّ الله تعالى أعزَّ دينَه ونصرَ نبيَّهُ وأظهر أولياءه وأذلَّ أعداءه وأعلى شأن أحبابه الذين نصبوا أدلة إظهار الحقِّ ونشروا البراهينَ الساطعة، وخذلوا الكافرين والملحدين والـمُشكِّكينَ بقوامع الحجج اللوامع فقاموا بترتيب الأدلة السمعية القرءانية والحديثية والأدلة العقلية في نصرة الدين والإسلام ليسدُّوا الطريق على المفسدين اللذين يشوِّشون عقائد النَّاس بما يُلقون إليهم من الشَّبهات، ومن هؤلاء الذين خاضوا في الدِّين بغير علمٍ وتكلَّموا في القرءان بغير دليلٍ وحكَّموا ءاراءهم فجعلوها فوق النصوص الشَّرعيَّة فأبطلوا الحقائق الثابتة التي أجمعت الأمة على ثبوتها أناسٌ يُنكرون عذاب القبر ويُعرضون عمَّا وردَ في ذلك من ءاياتٍ وأحاديثَ، إمَّا أنهم يُصرِّحون بتكذيبها أو يحاولون إخراجها عن ظاهرها بتأوُّلهم البعيد الذي لا يُسعفهم فيه نقلٌ ولا عقل. فقديمًا قامت فرقٌ من الفلاسفة أو الملاحدة أو ممَّن يتستَّرون باسم الدين والإسلام بإنكار عذاب القبر، واليومَ في عصرنا هذا نبغت أصواتٌ ناعقة وأشخاصٌ وفرقٌ عن طريق الحق ناكبةٌ صرَّحوا فيما يُسمَّى مواقع التواصل أو في بعض مقابلاتهم التلفزيونية أو في بعض رسائلهم بإنكار عذاب القبر وهم يزخرفون الباطل ويروِّجون للضلال باسم أنهم يريدون الانفتاح أو ما يُسمُّونه بالتفكير الحرّ أو الفكر النيِّر والذين يريدون من خلال

هذه العناوين الخروج عن مصادر التشريع في الإسلام القرءان والسنة الثابتة الصحيحة وإجماع الأمة والقياس، فيحاولون هدم الدين باسم التنوُّر أو تجديد الاجتهاد أو فقه التجديد أو باسم الفقه المعاصر فيصلون إلى تكذيب الحقِّ وموافقة الباطل، وبذلك يكونون حربًا على الإسلام والمسلمين يسوقون الناس إلى جهنم بأفكارهم الهدامة المكذِّبة للدين، ومن هؤلاء الدكتور عدنان إبراهيم الذي قال: «الكتاب دل دلالة أرجحية لا قطعية على أن الإنسان لما يُقبض يكون له وجود برزخي ويكون له فيه نوع إدراك كإدراك النائم. فالكافر لما انقطع من الدنيا ورأى ملائكة الموت لن ينام مرتاحًا بل ستأتيه هواجس ليس من الدماغ بل هذه من الله سيرسلها له، صُوَر مِن مصيره المستقبل، صُوَر وليس عذابًا حقيقيًّا كما كُنّا نظنّ، والمؤمن كذلك، الآيات التي تدلّ على ذلك كثيرة أشهرها ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ ﴿٥٢﴾﴾ لماذا عبَّروا عنها بالرقود، لأنّ الكوابيس والأحلام كانت تنتابهم، فهو شىء أشبه بالنوم. القرءان فيه عشرات الآيات قاطعة بأنّ الحساب يوم الحساب، القبر ليس فيه حساب، حساب ماذا؟! يقولون على الغيبة والنيمية وعلى ترك التنزُّه من البول وضرب وكذا، مستحيل، الحساب يبدأ يوم القيامة». ويقول الدكتور منصور الكيالي: «هنالك يومان، يوم القيامة ويوم البعث والحساب. الكافر ماذا سيقول يوم البعث: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، راقد ومرتاح، يأتي الجواب: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾، إذا كان الكافر راقد ومرتاح فما بالكم بالمؤمن، لكن كيف سنفسر ما ورد في سورة غافر قوله تعالى عن الفراعنة: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا

غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر] يجب أن يميز بين من يعرض على من، عندما يذهب الزبون إلى السوق، هل الزبون يعرض على البضاعة أم البضاعة تعرض على الزبون، الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الكهف: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ إذن قال النار يعرضون عليها، إذن هناك فرق بين الفراعنة يعرضون وبين أن تعرض النار عليهم، الجواب واضح تماما. الله سبحانه وتعالى يوضح الآن للنار من هم الذين سيأتون إليها، مثلما وعد الكافرين بالنار وعد النار بالكافرين. الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ فكيف سيراها الكافر لآلاف السنين ثم الله يقول إنها ستُعرض عليه أول مرة يوم البعث. لماذا؟ لأنّ النار حاليًّا غير مسعَّرة، قال تعالى صراحةً في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾، معنى ذلك أنّها حاليًّا غير مسعَّرة أصلًا. الميّت عنده الزمن متوقف تماما، والسبب في هذه الآية الكريمة العجيبة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴿١١﴾﴾، ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ واضحة، حياة دنيا وحياة آخرة، لكن كيف أماتنا اثنتين، الجواب واضح تمامًا في سورة البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿٢٨﴾﴾ كلنا قبل مائة سنة مائتين سنة خمسمائة سنة أين كُنَّا؟ لم تكن في عالم العدم، كُنّا أمواتًا حقيقين فلم نشعر بالأحداث الماضية، لم نشعر بطوفان نوح، لم نشعر بقوم عاد، فالموت القادم إلينا ليس ظاهرة جديدة، كنا فيه، عشناه في السابق إذن علينا أن لا نخاف منه». ويقول محمد متولي الشعراوي: «القبر ليس فيه عذاب لأنه لا عذاب إلا بعد حساب، والحساب سيكون في الآخرة». ويقول الدكتور

محمد هداية المصري: «الميت ساعة تخرج الروح كله ما بعد في المجاز وليس في الحقيقة. الرجل الذي انفجرت به طائرته وهو في الجو وتقطع جسده كيف تعود له الروح؟! في المجاز. لذلك قلنا هذا الذي يُلَقِّن الميّت في القبر هل يسمعه الميّت؟! الإجابة في القبر بلسان الحال، بدليل أنّ الأخرس كيف يردّ على مَلَكَيِ القبر، إذن فهذا لسان حال. أمّا الزيارة وأنّ الميّت يُحسُّ بالزياة، الزيارة هي زيارة القبور عامّةً «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها» أي القبور وليس قبوركم، يعين لا أذهب إلى قبر أبي بل إلى أيّ قبرٍ لأتّعظ. رَحِم الله امرَءًا لا يُعرَف قبرُه».

فكان لِزامًا علينا أن نكتب في الردِّ عليهم ونبيِّنَ الحقَّ الذي هو أظهر من عين الشَّمسِ وأثبتُ من الجبال الراسيات، فقمنا بكتابة هذه العُجالة تأييدًا للحقِّ وأهله ونصرةً للقرءان وأتباعه وتحذيرًا من الكفر والضلال وأحبابه.

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأسوة الحسنة وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين منكر ونكير من أمور العقيدة المجمع عليها عند أهل السنة الجماعة؛ ولمَّا كثر المنكرون لتلك العقائد وزاد تشويههم على الناس قمت بإعداد هذه الرسالة للرد عليهم، وقد تناولت في هذه الرسالة الكلام على أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه، من القرآن والسنة، وعلى الحكمة من إخفاء عذاب القبر، وذكرت عقيدة سلفنا الصالح في ذلك، كما ذكرت صورًا من عذاب القبر، وشبهات من ينكرون عذاب القبر وحكمهم والردّ عليهم، ثم ختمت الرسالة بذكر شيء من أسباب عذاب القبر، ووسائل النجاة منه.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، كما أسأله سبحانه أن ينفع به طلاب العلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإنسان، لا بد من الموت لأنه خروج من مكان يستحيل البقاء فيه وانتقال إلى دار يحاسب فيها اللهُ القهار وتقاس فيها الأشياء بموازين لا يخيب عندها الحق، ولا يساند عندها الباطل.

لا بد من الموت لأنه رجوع إلى الأصل الذي خلق منه الإنسان، فكما كان خلقُهُ من تراب كان مصيرُهُ ترابًا لتتذكر النفوس الظالمة حالها حين ظلمها، والمضطربة حين اضطرابها، والمفسدة حين إفسادها أن مآلها إلى تراب.

لا بد من الموت لأنه إظهار لقدرة الله تعالى، وبرهان على البعث، ودليل متيقَّن على الوقوف لعرض الأعمال. وإنَّ الموت دليل للمبعوثين على حياتهم الباقية التي أرادها لهم رب البرية بمقاييس معلومة، وموازين سديدة محكمة، فخالق الموت قدير على محاسبة الناس جميعًا، والظالم لن يبقى على الأرض طويلًا ما دام البشر يموتون، والـمُطْمَئِنُّ لقلوبهم أن الموت غير معلوم.

لا بد من الموت ليتعظ الناس وتستقر أحوالهم، فكان أقوى عظة وأفظع خطبًا، وأشدَّ أمرًا وأمرّ كأسًا، لذا نذكره دائمًا سبيلًا إلى الإصلاح، إصلاح النفس، وإصلاح المجتمع... فهل ننسى أننا نؤخذ من فراشنا ونشد على لوح، ونكفن بأكفان لا تحمل بين طياتها سوانا، ونوضع في القبور ليأكلنا الدود إلا ما شاء الله.

إنها ساعة يتحير عندها العقل، ويرجع إلى رشده، ويُعمِل فكره، ويهيب بالناس أن يعملوا لحسن الختام. وها نحن أولاء في دار الدنيا فهلا نجتمع ولا

نفترق، ونتحاب ولا نتخاصم، ما دام هذا مصيرنا؟! الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا ويفصل وهو أحكم الحاكمين.

وقد حُكِيَ أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض فأنطق الله عز وجل لَبِنَةً من حائط من تلك الأرض فقالت: «يا هذان فيم تتنازعان، وفيم تتخاصمان؟ إني كنت ملكًا من الملوك، ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت ترابًا فبقيت كذلك ألف سنة، ثم أخذني خَزَّاف فعمل مِنِّي إناءً فاستعملت حتى تكسرت، ثم عدت ترابًا فبقيت ألف سنة، ثم أخذني رجل فضرب مني لَبِنَة فجعلني في هذا الحائط. ففيم تخاصمكما، وفيم تنازعكما».

ويحكى أيضًا أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيبًا نطاسيًا فارسيًّا وأمر أن يعرض عليه ماؤه مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد فقال: «قولوا لصاحب هذا الماء يوصي فإنه قد انحلت قواه وتداعت بنيته». ولما استعرض باقي الماء شعر بقدوم الموت فنقلوه حيث فاضت روحه، فأنشد الرشيد قائلًا: [الكامل]

إن الطبيب بطِبِّه ودوائه ... لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المُداوِي والمدَاوَى والذي ... جلب الدَّوَاء وباعَهُ ومن اشترى[1]

وقال غيره:

---

(١) التذكرة، القرطبي، (ص٣٧).

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حينًا من الدهر
وكم من صبي يـــرتجى طول عمره وقد نســجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم في ليلة القدر

لقد كتب الله الموت على الإنسان والمخلوقات ليحاسبوا على ما كلفهم به. فقد خلقهم لعبادته، فمنهم من أذعن فكان من الفائزين، ومنهم من خدعَتْه نفسه أو قهرته شهوته، أو غلبه شيطانه فكان من الخاسرين.

قال القرطبي في الرد على من يقول إنّ عذاب القبر ليس بحقيقة: وأنه إذا كُشِفَ القبر لا يجدون فيه ملائكة يضربون الناس بمطارق، وكيف يقعد ونحن إذا فتحنا القبر نجده ضيقًا ومساحته لم تتغير علينا، وكيف يسعه ويسع الملائكة السائلين له: «إنا نؤمن بما ذكرناه، والله يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم، ويصرف أبصارنا عن جميع ذلك بل يغيبه عنا، فلا يبعد في قدرة الله تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز، فإنا لو شئنا لعمقنا القبر ووسعناه حتى يقوم فيه قيامًا فضلًا عن القعود، وكذلك يمكننا أن نوسع القبر مائتي ذراع فضلًا عن سبعين ذراعًا، والرب سبحانه أبسط منا قدرة[1] وأقوى منا قوة وأسرع فعلًا وأحصى منا حسابًا ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن

(١) أي أعظم لأنَّ الله قدرته أزليَّةٌ أبديَّة، وهو على كلِّ شيء قدير.

فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾[1]. فإذا كشفنا نحن عن ذلك، رد الله سبحانه الأمر على ما كان، نعم... بل لو كان الميت بيننا موضوعًا فلا يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألاه من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ويجيبهما من غير أن يسمع الحاضرون جوابه؛ ومثال ذلك: نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب، ولا يشعر بذلك أحد ممن حولهما من المنتبهين، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه. قال بعض علمائنا: إن دخول الملك القبور جائز أن يكون تأويله اطلاعه عليها وعلى أهلها، وأهلها مدركون له عن بعد من غير دخول ولا قرب، ويجوز أن يكون الملك للطافة جسمه يتولج في خلال المقابر فيتوصل إليهم من غير نبش، ويجوز أن ينبشها ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركه أهل الدنيا، ويجوز أن يكون الملك يدخل من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها.

وبالجملة، فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم، فليست تقاس أحوال الآخرة[2] على أحوال الدنيا وهذا مما لا خلاف فيه، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئًا مما هنالك، فإن قالوا: كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخطئة ناقله، ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لا يُسأل ولا يحيا، وكذلك يشاهد الميت على سريره وهو لا يجيب

---

(١) يس: ٨٢. ومعنى هذه الآية أنَّ الله يوجِدُ الأشياء بسرعة بلا تعبٍ ولا مشقةٍ، وليس معناها أنَّ الله يتلفَّظ أو ينطقُ بالكاف والنون، إذ هذا تشبيهٌ لله بخلقه وهو كفر. وكلام الله أزلي أبدي ليس بحرف ولا صوت ولا لغة، ولا يشبه كلام المخلوقين.

(٢) أي والبرزخ.

سائلًا ولا يتحرك، ومن افترسته السباع ونهشه الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف الطير وبطون الحِيتَانِ وحواصل الطيور وأقاصي التخوم ومدارج الرياح فكيف تجتمع أجزاؤه، أم كيف تتألف أعضاؤه؟ وكيف تُتصور مساءلة الملكين لمن هذا وصفه؟ أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار؟

والجواب عن هذا من وجوه أربعة:

- **أحدها**: أن الذي جاء بهذا هم الذين جاءوا بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا مما نقلوه لنا من ذلك.
- **الثاني**: ما ذكره القاضي لسان الأمة، وهو أن المدفونين في القبور يسألون، أما الذين بَقُوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجري عليهم كما حجبهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليهم السلام لهم. ومن أنكر ذلك فلينكر[1] نزول جبريل عليه السلام على الأنبياء عليبهم السلام، وقد قال الله في وصف الشياطين: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[2].
- **الثالث**: قال بعض العلماء: لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به، كما أنا نحسب المغمى عليه ميتًا، وكذلك صاحب السكتة، وندفنه على حُسْبَان الموت. ومن تفرقت أجزاؤه فلا يبعد أن يخلق الله

---

(1) هذا للزجر وليس للأمر بالمنكر وتكذيب الشريعة.

(2) **الأعراف**: ٢٧.

الحياة في أجزائه. قلت: ويعيده كما كان، وقد ثبت ذلك في السنة من حديث الرجل الذي أمر بحرقه بعد موته، وهو في الصحيحين.

- الرابع: قال أبو المعالي: المرضي عندنا أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو غيره، فيحييها ويوجه السؤال إليها، وذلك غير مستحيل عقلًا. قال بعض علمائنا: وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه الله من صلب ءادم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ﴿ألست بربكم؟ قالوا: بلى﴾[1].

كَفَى بِالـمَوْتِ وَاعِظًا

الموت لا يقرع بابًا، ولا يهاب حجابًا، ولا يقبل بديلًا، ولا يأخذ كفيلًا، ولا يرحم صغيرًا، ولا يستأذنُ كبيرًا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أعمار أُمَّتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك**»[2]. وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة**»[3]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: «**كانت عِبَرًا كلها عجبت لمن أيقن الموت ثم هو يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار**

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي، (م١/١٥٩-١٦٠). بتصرف.

(٢) الترمذي.

(٣) البخاري.

ثم هو يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقَدَر ثم هو يَنْصَب[1]، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها، وعجبت لمن أيقن بالحساب غدًا ثم لا يعمل»[2].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مات رجل من أصحاب النبي ﷺ فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يثنون عليه ويذكرون من عبادته ورسول الله ساكت فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ: «هل كان يكثر ذكر الموت»، قالوا: لا، قال: «فهل كان يدع كثيرًا مما يشتهي»، قالوا: لا، قال: «ما بلغ صاحبكم كثيرًا مما تذهبون»[3].

وعن الضحاك قال: أتى النبيّ ﷺ رجل فقال: يا رسول الله مَن أزهدُ الناس؟ فقال ﷺ: «من لم ينس القبر والبِلَى وترك أفضل زينة الدنيا وءاثر ما يبقى على ما يفنى ولم يَعِدْ غَدًا من أيامه وَعْدَ نفسه من الموتى»[4].

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله: «أيها الناس استَحْيُوا من الله حق الحياء» فقال رجل: يا رسول الله إنا لنستحيي من الله تعالى. فقال ﷺ: «من كان منكم مستحييًا فلا يَبِيتَنَّ

---

(١) أي يتعب.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا.

ليلة إلا وأجله بين عينيه وليحفظ البطن وما وعى والرأس وما حوى وليذكر الموت القبور والبلى وليترك زينة الحياة الدنيا»[١].

وعن البراء رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فأَعِدُّوا»[٢].

وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: خط النبيّ ﷺ خطا مربعًا وخط خطًّا في الوسط خارجًا منه وخط خطوطًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط فقال: «إن هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نَهَشَهُ هذا»[٣].

وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول الأمل والحرص على الدنيا[٤]».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض من الدنيا»[٥]. وعن أبي هريرة أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعًا هل تنظرون إلا فقرًا منسيًا أو غنى مطغيًا

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

(٢) رواه ابن ماجه بإسناد حسن.

(٣) رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(٤) رواه البزار.

(٥) رواه مسلم.

أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا[1] أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»[2].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الكَيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يموت إلا ندم**» قالوا: وما ندامته يا رسول الله. قال: «**إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد[4] وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزع**»[5].

وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغِلُوا[6] وَصِلُوا الذي بينكم وبين رَبِّكُم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا**»[7].

---

(١) الهرم المفند أي الشيخوخة التي تجعل الانسان يخرف في الكلام.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي.

(٤) لكن لا يحصل للصالحين نكدٌ ولا عذاب بعد الموت.

(٥) رواه الترمذي والبيهقي في الزهد.

(٦) أي بالمرض وكبر السنّ المانع من ذلك.

(٧) رواه ابن ماجه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سَقَمِك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شُغْلِك وحياتك قبل موتك»**[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُنَبِّئُكُم بخيركم»**، قالوا: نعم. قال: **«خياركم أطولكم أعمارًا وأحسنكم أعمالًا»**[٢].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله أيُّ الناس خير. قال: **«من طال عمره وحسن عمله»**. قال: فأيُّ الناس شر. قال: **«من طال عمره وساء عمله»**[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«إن لله عبادًا يَضِنُّ بهم عن القتل ويطيل أعمارهم في حسن العمل ويحسن أرزاقهم ويحييهم في عافية ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش ويعطيهم منازل الشهداء»**[٤]. وعن عبد الله بن شداد أن نفرًا من بني عُذْرَة ثلاثة أتوا النبيّ ﷺ فأسلموا، قال: فقال النبيّ ﷺ: **«من يكفينيهم»**؟ قال طلحة: أنا. قال: فكانوا عند طلحة. فبعث النبيّ ﷺ بعثًا فخرج فيه أحدهم فاستُشْهِد. ثم بعث بعثًا فخرج فيه ءاخر فاستشهد. ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة فرأيت الميت على فراشه أمامهم

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه أحمد والبيهقي وابن حبان في صحيحه.

(٣) رواه الترمذي وقال عنه حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الطبراني.

ورأيت الذي استشهد أخيرًا يليه ورأيت أولهم ءاخرهم. قال: فدخلني من ذلك، قال: فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك فقال: **«وما أنكرت من ذلك ليس أحد أفضل عند الله عز وجل من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله»**(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تَمنَّوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الإنابة»**(٢).

وعن أم الفضل رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل على العباس وهو يشتكي فتمنى الموت فقال: **«يا عباس عم رسول الله لا تتمنَّ الموت إن كنت محسنًا تزداد إحسانًا إلى إحسانك خير لك وإن كنت مسيئًا فإن تؤخَّرْ تَسْتَعْتِبْ من إساءتك خير لك لا تتمن الموت»** (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يتمنى أحدكم الموت إما محسنًا فلعله يزداد وإما مسيئًا فلعله يَسْتَعْتِبُ»**(٤). وفي روايته لمسلم: **«لا يتمنى أحدكم الموت ولا يَدَعُ به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»**. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال

(١) رواه أحمد وأبو يعلى ورواتهما رواة الصحيح.

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن، والبيهقي.

(٣) رواه أحمد والحاكم.

(٤) رواه البخاري.

رسول الله ﷺ: **«لا يتمنينّ أحدكم الموت لِضُرٍّ نزل به فإن كان لا بد فاعلًا فليقل اللَّهُمَّ أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرًا لي»**[١].

وقال سيدنا عليّ رضي الله عنه: إن الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما وَلَّى منه ولا يبقى من فيه، وإن الله قد أوضح السبيل فإما شِقْوة لازمة وإما سعادة دائمة، فمن شغل نفسه بغير نفسه تَحَيَّر، في الظلمات وارتبك في الهلكات، والناس في هذه الدنيا أعراض تنتصل فيها المنايا[٢] مع كل جرعة شَرَق وفي كل أكلة غصص[٣] لا ينالون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يُعَمَّر منهم مُعَمَّر يومًا إلا بهدم يوم ءاخر من أَجَلِهِ ولا تجدد له زيادة في أُكْلَة إلا بنفاذ ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر، إلا مات له أثر ولا تقوم له نابتة إلا وتسقط منه محصورة، فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق[٤] النِّقْمَة، وإن عليكم رصدًا من أنفسكم وعيونًا من جوارحكم وحفاظًا صدقًا يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم كرامًا كاتبين يعلمون ما تفعلون لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يُكِنُّكُم منهم باب ذو رتاج[٥] وإن اليوم عمل ولا حساب وغدا الحساب ولا عمل وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل فمن عمل أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضره أجله ومن قَصَّرَ في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أي أهداف تتبارى فيها سهام المنايا.

(٣) الشرقة الغصة بالماء عند الشرب.

(٤) البوائق جمع بائقة وهي الداهية.

(٥) أي محكم الإغلاق.

عمله وضره أجله وقد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد، فقال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾[1]، وإن لكلٍّ من الدنيا والآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار.

ولما احتُضِرَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه قالت عائشة:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ[2] يومًا وضاق بها الصدر

فقال: ليس كذلك ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩﴾[3]. ولذلك كان يقولها أبو بكر.

ولما دخلوا على عثمان رضي الله عنه جعل يتمثل:

أرى الموت لا يبقي حزينا ولم يدع لعاد مِلَاكًا في الأمور ومرتبا

يُبَيِّت[4] أهل الحصن والحصن مغلق ويأتي الجبال في شماريخها العُلَا

ولما جرح عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جعل يقول:

فلا منجي من المو ت وإن الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك

---

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) أي تردَّد النفس في الصدر عند الموت.

(٣) ق: ١٩

(٤) يوقع بهم ليلا ويهلكهم.

ولما احتضر معاوية جعل يقول:

إن تناقش[1] يكن نقاشك يا رب عـذابًـا لا طوق لي بـا لعـذاب
أو تجـاوز فـأنـت رب عـفـو عن مســـــيء ذنوبه كالتراب

ولما احتضر معاذ رضي الله عنه جعل يقول: أعوذ بالله من ليلة صباحها النار، مرحبا بالموت، مرحبا بزائر مغب[2] حبيب جاء على فاقة، اللَّهُمَّ إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللَّهُمَّ إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لِكَرْيِ الأنهار[3] ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر ومكابد الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

ولما احتضر أبو الدرداء رضي الله عنه جعل يقول: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، وبكى. فقالت له امرأته: تبكي وقد صاحبت رسول الله ﷺ. فقال: ومالي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي.

ولما احتُضِرَ أبو هريرة رضي الله عنه بكى فقيل له: وما يبكيك. فقال: بعد المفازة وقلة الزاد وعَقَبة كَئُود[4] الـمَهْبِطُ منها إلى الجنة أو إلى النار.

---

(١) أي تشدِّد عليَّ الحساب.

(٢) مغبة الشيء عاقبته وءاخرته، يقال: لهذا الأمر مغبة طيبة.

(٣) أي شقها.

(٤) عقبة كئود أي صعبة المرتقى.

ولما احتُضِر عمرو بن العاص قيل له: كيف تجدك. فقال: «والله لكأن جَنْبَيَّ في تخت[1] وكأني أتنفس من سَمِّ الخياط وكأن غصن شوك يجر به من قدميَّ إلى هامتي».

ولما احتُضِرَ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: «إلهي أمرتني فلم أأتمر، وزجرتني فلم أنزجر، غير أني أقول لا إله إلا الله».

ولما احتُضِرَ الرشيد رضي الله عنه أمر بحفر قبره ثم حمل إليه فاطلعَ فيه فبكى حتى ابتلت لحيته ثم قال: «يا من لا يزول مُلْكُه ارحم من قد زال ملكه».

وكان المعتصم يقول عند موته: «ذهبت الحيل فلا حيلة».

وبكى عامر بن عبد قيس لما احتُضِرَ وقال: «إنما أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء». وبكى يزيد الرقاشِيّ عند موته فقيل له: «ما يبكيك». فقال: «أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار». ثم جعل يقول: «يا يزيد من يُصَلِّي لك، ومن يصوم عنك، ومن يتقرب إلى الله عز وجل بالأعمال بعدك، وَيَحْكُم يا إخواني لا تغتروا بشبابكم فكأن قد حل بكم مثل ما قد حل بي».

وقال المزني: دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت له: «يا أبا عبد الله كيف أصبحت». قال: «أصبحت من الدنيا راحِلًا ولإخواني مفارِقًا

(١) التخت وعاء تصان به الملابس.

وبكأس المنية شاربًا وعلى الله واردًا ولا أدري نفسي تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها»[1]. ثم بكى وقال:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي | جعلت رجائي نحو عفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته | بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب سيدي[2] | تجود وتعفو مِنَّةً وتكرما
ولولاك ما يَغْوَى بإبليس عابد | فكيف وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ ءادم[3]

وقال إبراهيم بن أدهم: مرض أحد العُبَّاد فدخلنا نعوده فجعل يتنفس ويتأسف فقلت له: على ماذا تتأسف؟ قال: على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله عز وجل.

وبكى أحد العُبَّاد عند موته فقيل له: ما يبكيك؟. فقال: «أن يصوم الصائمون ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم ويصلي المصلون ولست فيهم».

وقال أبو محمد العجلي: «دخلت على رجل وهو في الموت فقال لي: سخرت بي الدنيا حتى ذهبت أيامي».

---

(١) إذ ليس نصًّا قرءانيًّا أو حديثيًّا دخوله الجنَّة قطعًا بلا سابق عذاب.

(٢) ورد في الحديث: «السيِّد الله»، أي من له السيادة الشاملة على كلِّ الكون والعالم، فالله سيدنا بمعنى ربنا وخالقنا ومالكنا والمتصرِّف فينا كما يشاء.

(٣) إبليس لعنه الله وسوسَ لآدمَ وحواءَ وقال لهما: «هل أدلكما على شجرة الخلد»، وكان أكلُ ءادم من الشجرة قبل النبوة بغير إذنٍ من الله، وهذه صغيرةٌ لا خسَّة ولا دناءة فيها، وتاب منها فتاب الله عليه.

وخطب الناسَ عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال: «يا أيها الناس» ثم خنقته العبرة فسكت. ثم قال: «إن امرأً أصبح ليس بينه وبين ءادم أب حي لَمُعْرَقٌ له في الموت. أيها الناس إنكم لكم في أسلاب الهالكين وفي بيوت الميتين وفي دور الظاعنين جيرانًا كانوا معكم بالأمس، أصبحوا في دور خامدين بين ءامن روحه إلى يوم القيامة وبين معذب روحه إلى يوم القيامة ثم تحملونه على أعناقكم ثم تضعونه في بطن الأرض بعد غضارة من العيش وتلذذ في الدنيا فإنا لله وإنا إليه راجعون. أما والله لوددت أنه بدئ بي وبلحمتي التي أنا منها حتى يستوي عيشنا وعيشكم. أما والله لو أردت غير هذا من الكلام لكان اللسان به مني منبسطًا ولكنت بأسبابه عارفا». ثم وضع طرف ردائه على وجهه فبكى وبكى الناس معه.

وقال كمال الدين الأدهمي الحسيني الطرابلسي:

سواي بِرَنَّات المعازف يطرب ... ويملك أُذنيه الغناء المرتب
وغيري يقضي بالملذات عمره ... فيأكل مما يشتهيه ويشرب
ويسرح في وادي الخلاعة هَائِمًا ... وقد شاقه في الغِيد هند وزينب
ولكنّ مثلي لا يميل إلى هوًى ... دعاه عذار أو بنان مخضب
ولا زخرف الدنيا غدا يستميلني ... ولا أنا ممن بالسفاسف يرغب
وما ذاك من نقص الشعور وإنما ... رأيت جلال الله من ذاك يغضب
نما خوف ربي بين كل جوانحي ... فلا عضوَ إلا وهو بالرعب يُضْرَب
نفى النومَ عن عيني كثيرُ تفكُّرِي ... بما أنا لا قيهِ إذا أنا أ طلب

وأحرقَ قلبي خوفُ نار جهنم بها كل عاص بالعذاب يقلب
وخفف من روعي رجائيَ جنة بها للمطيعين الثوابُ المُحبَّبُ
ومهما يكن ظني جميلًا بخالقي فما أنا إلا خائف أترقب
عجبت لمن يدري بأن ليس مَهْرَبٌ من الموت أصلًا كيف يلهو ويلعب
ويفعل أفعالا قبا حا شنيعة وفي كل يوم موته يتقرب
وكيف يلذ العيشَ من هو ميت وعامره من بعد ما مات يخرب
ولو لم يكن نار ولا جنة غدًا سوى القبر كان القبر والله يُرهِبُ
وفي القبر ما في القبر لو كان عالِمًا بأحواله الإنسان ما كان يذنب
ولكنه لم يدر ما هو صائر إليه سوى أن قيل مات فَيُنْدَبُ
وجودٌ بتقويم وأجمل صورة غدا بين أطباق التراب يغيب
وذلك ما ندري ومبلغ علمنا وغفلتنا عما سنلقاه أعجب
كأني إذا شَيعتُ يوما جنازة أنا المَيْتُ بي ذا الناس للقبر تذهب
وهَوَّنَتِ الدنيا عَلَيَّ بلاءها فها أنا لا أشكو ولا أتعتب
وكل امرئ بالله والرسلِ مؤمنٌ يهون عليه اليومَ ما هو يصعب
سلام على روحي وجسمي ورحمةٌ من الله في موتي ومحياي تُسْكَب
ولكن إيمانا قويـــــا غرسته بقلبي إلى ربي به أتقرب
إذا نفحتني من رضا الله نفحة فأبعد ما أرجوه أدنى وأقرب

أَقْوَالُ العُلَمَاءِ فِي المَوْتِ وَوَصْفُهُمْ لَهُ

الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشدّ والكأس التي طعمها أكره وأبشع، وإنه الحارث الأهذم للذات والأقطع للراحات والأجلب للكريهات. فإن أمرا يقطع أوصالك ويفرق أعضاءك ويهدم أركانك لهو الأمر العظيم والخطب الجسيم وإن يومه لهو اليوم العظيم، قاله القرطبي.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أناس من أصحابه «أوصيكم بتقوى الله العظيم والمراقبة واتخذوا التقوى والورع زادًا، فإنكم في دار عما قريب تنقلب بأهلها والله في عرصات[1] القيامة وأهوالها يسألكم عن الفتيل والنقير، فاللهَ اللهَ عبادَ الله. اذكروا الموت الذي لا بد منه واسمعوا قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴿١٨٥﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾[3]، وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾[4]، قد بلغني أنهم يضربون بسياط من نار، وقال جل ذكره: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[5]».

---

(١) شدائد.

(٢) آل عمران: ١٨٥.

(٣) الرحمن: ٢٦.

(٤) محمد: ٢٧.

(٥) السجدة: ١١.

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام للحواريين: «يا معشر الحواريين ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة» يعني سكرات الموت(١).

قال الدقاق: «مَن أكثر من ذكر الموت أُكْرِم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل في العبادة. فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته فيا للموت من وعد ما أصدَقَهُ ومِن حاكم ما أعدَلَهُ. كفى بالموت مقرحًا للقلوب ومبكيًا للعيون ومفرقًا للجماعات وهاذمًا للذات وقاطعًا للأمنيات. فهل تفكرت يا ابن ءادم في يوم مصرعك وانتقالك من موضعك؟ وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخانك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر. فيا جامع المال والمجتهد في البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان. بل هي للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب. فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك. ولقد أحسن من قال في تفسير قوله تعالى تعالى ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾(٢) أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنَّة فإنَّ حق المؤمن أن يصرفَ الدنيا

---

(١) ذكرهما القرطبي في التذكرة، (ص٣١).

(٢) القصص: ٧٧.

فيما ينفقه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغي فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن».

وقال التيمي: «شيئان قطعا عني لذات الدنيا، ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذكرون الموت والقيامة والآخرة فيبكون كأن بين أيديهم جنازة».

وجاء في التذكرة للقرطبي: واعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة. فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم والموت أصعب منه. أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها لقطعه عنها. ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هاذم اللذات   وتجهز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة   في ادّكار الموت تقصير الأمل

وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم، ولا مرض معلوم وذلك ليكون على أهبة من ذلك، مستعدًّا لذلك، وكان بعض الصالحين ينادي بليل على سور المدينة: الرحيلَ، الرحيلَ. فلما توفي فقد صوتَه أميرُ المدينة فسأل عنه فقيل: إنه مات.

هَلِ الـمَوْتُ كَفَّارَةٌ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: **الموت كفارة لكل مسلم**»[١] [٢]. قال القرطبي: إنما كان الموت كفارة لكل ما يلقاه الميت في مرضه من الآلام والأوجاع وقد قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها**»[٣].

وفي الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يُصِبْ منه**». وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**إني لا أُخْرِجُ أحدًا من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقمًا في جسده، ومصيبة في أهله وولده، وضيقًا في معاشه، وقتارًا في رزقه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذّر، فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت حتى يفضي إليَّ كيوم ولدته أمه**». قلت وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما في الخبر. يقول الله تعالى: «**وعزتي وجلالي لا أخرج عبدًا من الدنيا أريد أن أعذِّبَه حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة في جسده وسعة في رزقه، ورغدٍ في عيشه وأمنٍ في سربه، حتى أبلغ منه مثاقيل الذّر، فإن بقي له شيء هونت عليه الموت حتى يفضي إلي وليس له حسنة يتقي بها النار**». وقد قال رسول الله ﷺ في حديث

---

(١) ليس معناه أنَّ كلَّ ميتٍ مسلمٍ من أهل الكبائر لا يُعذَّب.

(٢) رواه أبو نعيم، وذكره ابن العربي في سراج المريدين وقال حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره مسلم في صحيحه.

عبيد بن خالد السلمي رضي الله عنه وكانت له صحبة: «**موت الفجأة أخذةُ أَسَفٍ**[1] **للكافر**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها: «أنها راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر»[3].

والقول الفصل أن للموت سكرات، فتَحَمُّل الإنسان المسلم لسكرات الموت ورضاؤه واحتسابه وقتها مما لا شك فيه أنَّ كل ذلك له به كفارة لذنوبه. وأما إذا ضجر ولم ترض نفسه ولم يصبر وعصى أو كفر كان شرًّا والعياذ بالله، ومعلوم أن ذلك بين العبد وربه فلا يستطيع البشر وقت الاحتضار معرفة دواخل المحتضر إلا ما ظهر. والله تعالى أعلم.

عَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمُهُ

إنّ الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، للروح والجسد معًا، وسؤال الملكين، من أمور العقيدة المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة، بدليل القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة، وإجماع علماء المسلمين.

عَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمُهُ فِي القُرْءَانِ

عذاب القبر ونعيمه حق كما صرحت به الأحاديث الصحيحة، والإيمان بهما واجب. فالمرء إذا مات إما أن يكون في نعيم أو عذاب، وإن الروح تبقى

---

(١) أي سخط.

(٢) أخرجه أبو داود بسند صحيح.

(٣) رواه الترمذي.

بعد مفارقة البدن إما منعمة أو معذبة، وعند البعث تعاد الأرواح إلى الأجساد.

ولقد جاء القرءان الكريم مبيِّنًا لهذا بالأدلة والآيات الواضحة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1]، فقوله ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي يوم تخرج أنفسهم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ العذاب ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[2]، فقوله ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ أي صباحًا ومساءً وذلك في القبر بدليل أنَّ ما بعدها هو قيام الساعة.

وقوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾[3] أعقب الإغراق إدخال النار والإحراق بها. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾[4]، فالعذاب الأدنى قبل الحشر والعذاب الأكبر بعده، وللكافر عذابٌ في الحشر بينهما.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود أهل المدينة فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إن عجوزين من عُجُز يهود أهل المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) غافر: ٤٥-٤٦.

(٣) نوح: ٢٥.

(٤) السجدة: ٢١.

القبور يعذبون في قبورهم، قال: **صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها. فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»**.

وفي صحيح ابن حبان عن أم مبشر قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يقول: **تعوذوا بالله من عذاب القبر**. فقلت: يا رسول الله وللقبر عذاب؟ قال: **«إنهم ليعذبون في قبورهم عذابًا تسمعه البهائم»**. وعذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق العذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو أغرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى موتى القبور.

والنار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا، فلا يحس بها أهل الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى يحمي عليه ذاك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم حرًّا من جمر الدنيا، ولو لمسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك في العادة.

وأعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره، وذاك في روضة من رياض الجنة لا يصل رَوْحُها ونعيمها إلى جاره.

وقد يشاء الله أن يطلع على ذلك بعض عبيده ويغيبه عن غيره إذ لو اطلع العباد كلهم لما عاد غيبًا ولما تدافن الناس كما قال ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع**». وقد ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن الشعبي أنه ذكر أن رجلا قال للنبيّ ﷺ: مررت ببدر فرأيت رجلًا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الأرض ثم

يخرج فيفعل به ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة».

وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ دخل مصلَّاه فرأى أناسًا يكتشرون[1] الكلام فقال: «أما إنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى فأكثِرُوا من ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت القبر على يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود. فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبًا وأهلًا أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إليّ فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنيعي بك. قال: فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة. وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبًا ولا أهلًا أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنيعي بك فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه». قال: قال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض. قال: «ويقيض الله له سبعين تنينًا لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا فتنهشه حتى يفضي به الحساب». قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى قبر ولم يُلحِد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير، فجعل رسول الله

---

(١) أي يضحكون من الكشر، وهو ظهور الأسنان للضحك. في القاموس: كَشَر عن أسنانه أبدى، يكون في الضحك وغيره.

ﷺ يرفع بصره وينظر إلى السماء، ويخفض بصره وينظر إلى القبر ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاثًا، ثم قال: «إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوانه فتخرج نفسه تسيل كما يسيل قطر السقاء[1] ثم تنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط[2] من حنوطها فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين فذلك قول الله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١﴾[3]، فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت بها الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح؟ فيقال فلان - بأحسن أسمائه - حتى ينتهوا به إلى أبواب السماء الدنيا فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقال اكتبوا له كتابه في عليين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾. فيكتب كتابه في عليين ثم يقال: ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى فيرد الأرض وتعاد روحه فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام. فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولان: ما يدريك؟ فيقول: جاء بالبينات من ربنا

---

(١) السقاء وعاء من جلد والقطر الماء، أي تسيل روحه قطرات.

(٢) الطيب يطيب به الميت.

(٣) الأنعام: ٦١.

فآمنت به وصدّقت. قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾(١) فينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه في الجنة وألبسوه الوجه وأروه منزله منها، فيفسح له مد البصر ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول له: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان الله وجنات النعيم. فيقول: بشرك الله بخير من أنت الوجه فوجهك الذي جاء بالخير. فيقول: هذا يومك الذي كنت توعد أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في طاعة الله بطيئًا عن معصية الله فجزاك الله خيرًا. فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي. قال: فإن كان فاجرًا وكان من قبل الدنيا وانقطاع من الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فقال: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، أبشري بسخط من الله وغضبه، فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من النار، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين فتفرق في جسده فيستخرجها وقد تقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب في الصوف المبتل، فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان – بأسوأ أسمائه – حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فلا يفتح لها فيقولون: ردوه إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. فيرمى به من السماء، وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ

(١) إبراهيم: ٢٧.

تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾﴾[1] فيعاد إلى الأرض فتعاد فيه الروح ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يهتدي لاسمه. فيقال: محمد. فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك. فيقال له: لا دريت. فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه. ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب. فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه. فيقول: من أنت؟ فوجهك الذي جاء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث فوالله ما عملتك إلا كنت بطيئًا في طاعة الله سريعًا إلى المعصية. فيقيض[2] الله له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابا، فيضربه ضربة يسمعها الخلائق إلا الثقلين[3]، ثم يقال: افرشوا لوحين من نار وافتحوا له بابًا إلى النار»[4]. وفي رواية مختصرًا: قرأ رسول الله ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ﴾[5]، قال: نزلت في عذاب القبر». وفي رواية أن النبيّ ﷺ قال:

---

(١) الحج: ٣١.

(٢) يقيض له أي يسبب ويهيء له.

(٣) أي الإنس والجن.

(٤) أخرجه عبد الرزاق، (ح٦٧٣٧). وابن أبي شيبة، (٣/٣٨٠-٣٨٢). وأحمد، (٤/٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦). وعبد الله بن أحمد في السنة، (ح١٣٦٥ – ١٣٧١). والطيالسي، (ص٣٥٧). وأبو داود، (ح٤٧٥٣-٤٧٥٤). وابن جرير الطبري، (١٣/٢١٥، ٢١٧، ٢١٨). والآجري في الشريعة، (ص٣٦٧ – ٣٧٠). والبيهقي في إثبات عذاب القبر، (ص٢٠ – ٢٧، وص٤٤). والهيثمي في المجمع، (٣/٥٠)، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٥) إبراهيم: ١٧. رواه البزار ورواته ثقات.

«المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾»[1]. وفي رواية قال: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ

---

(١) السيوطي في الدر المنثور، (٧٨/٤)، وقال: أخرجه الطيالسي والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في عذاب القبر، وابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد بن حنبل، وهناد بن السري في الزهد، وعبد بن حميد، وأخرجه الحاكم وصححه.

وفي رواية «فأما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وأما الكافر أو المنافق فيقول هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته». قال المنذري في الترغيب والترهيب، (١٨٧/٤): «هي كلمة تقال في الضحك وفي الإبعاد وقد تقال للتوجع وهو أليق بمعنى الحديث والله أعلم». وقال ابن الأثير في جامع الأصول، (١٧٩/١١): «من عادة المشدود الحائر إذا خوطب أن يقول هاه هاه كأنه يستفهم عما يسأل عنه ثم يقول: سمعت الناس يقولون ذلك». وقال ابن أبي جمرة في بهجة النفوس، (١٢٨/١): «وفيه دليل على أن اتباع الناس دون علم مهلك لأن السبب المهلك لهذا أن جعل دينه تبعا للناس من غير علم ولا معرفة، فالعاقل يأخذ دينه من القواعد الشرعية التي بها خلاصه».

وقال المنذري في الترغيب والترهيب، (١٢٣/٤-١٢٤): «قال الحافظ: رواه أحمد بإسناد رواته محتج بهم في الصحيح وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، كذا قال أبو موسى الأصبهاني، والمنهال روى له البخاري حديثا واحدا، وروى له مسلم حديثين في صحيحه، ورواه البيهقي من طريق المنهال بنحو رواية أحمد ثم قال: وهذا حديث صحيح الإسناد».

وقال في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٨٧/٧): «خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو، وزاذان لم يسمعه من البراء فلذلك لم أخرجه».

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾[1]. **نزلت في عذاب القبر، يقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيي محمد ﷺ »**[2].

---

(١) السيوطي في **الدر المنثور**، (٧٨/٤)، وقال: أخرجه الطيالسي والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في **عذاب القبر**، وابن أبي شيبة في **المصنف**، وأحمد بن حنبل، وهناد بن السري في **الزهد**، وعبد بن حميد، وأخرجه الحاكم وصححه.

وفي رواية «فأما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وأما الكافر أو المنافق فيقول هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته». قال المنذري في **الترغيب والترهيب**، (١٨٧/٤): «هي كلمة تقال في الضحك وفي الإبعاد وقد تقال للتوجع وهو أليق بمعنى الحديث والله أعلم». وقال ابن الأثير في **جامع الأصول**، (١٧٩/١١): «من عادة المشدود الحائر إذا خوطب أن يقول هاه هاه كأنه يستفهم عما يسأل عنه ثم يقول: سمعت الناس يقولون ذلك». وقال ابن أبي جمرة في **بهجة النفوس**، (١٢٨/١): «وفيه دليل على أن اتباع الناس دون علم مهلك لأن السبب المهلك لهذا أن جعل دينه تبعا للناس من غير علم ولا معرفة، فالعاقل يأخذ دينه من القواعد الشرعية التي بها خلاصه».

وقال المنذري في **الترغيب والترهيب**، (١٢٣/٤-١٢٤)،: «قال الحافظ: رواه أحمد بإساد رواته محتج بهم في الصحيح وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، كذا قال أبو موسى الأصبهاني، والمنهال روى له البخاري حديثا واحدا، وروى له مسلم حديثين في صحيحه، ورواه البيهقي من طريق المنهال بنحو رواية أحمد ثم قال: وهذا حديث صحيح الإسناد».

وقال في **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، (٣٨٧/٧): «خبر الأعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، سمعه الأعمش عن الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو، وزاذان لم يسمعه من البراء فلذلك لم أخرجه».

(٢) أخرجه البخاريّ (ح١٣٦٩، ٤٦٩٩). ومسلم، (ح٢٨٧١). والترمذي، (ح٣١٢٠). وأبو داود، (ح٤٧٥٠). والآجريّ، (ص٣٥٨).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء ويرحب له قبره سبعون ذراعًا وينور له كالقمر ليلة البدر، أتدرون فيها أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾[2]، أتدرون ما المعيشة الضنكة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عذاب الكافر في قبره، والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا. أتدرون ما التنين؟ سبعون حية لكل حية سبع رءوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة»[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها؟ فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟ قال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[4].

وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: إن الميت إذا وضع في قبره فإنه يسمع خفق نعالهم حين يولُّون مدبرين فإن كان مؤمنًا كانت الصلاة عند رأسه وكان

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) طه: ١٢٤.

(٣) رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه.

(٤) إبراهيم: ١٧. رواه البزار ورواته ثقات.

الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام ما قبلي مدخل ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب. فيقال له: أرأيتك هذا الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستفعل[١]، أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله. فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها. فيزداد غبطة وسرورًا. ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته. فيزداد غبطة وسرورًا. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا وينور له فيه ويعاد الجسد لما بدأ منه فتجعل نسَمته[٢] في النسم الطيب وهي طير تعلق في شجر الجنة فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾. وإن الكافر إذا أُتي من قبل رأسه لم يوجد شيء، ثم أُتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أُتي عن شماله فلا يوجد شيء، ثم

---

(١) الصلاة تُطلق لغةً على معنى الدعاء.

(٢) النسمة بفتح النون هي الروح.

أتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له اجلس فيجلس خائفًا مرعوبًا فيقال: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم؟ ماذا تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل. فيقال له: الذي كان فيكم. فلا يهتدي لاسمه حتى يقال له: محمد. فيقول: ما أدري سمعت الناس قالوا قولا فقلت كما قال الناس. فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مِت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعد الله لك فيها. فيزداد حسرة وثبورًا. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو أطعته. فيزداد حسرة وثبورًا. ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، فتلك المعيشة الضنكة التي قال الله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[1].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق، (ح٦٧٠٣)، من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعا. وابن أبي شيبة، (٣٨٣/٣). وعبد الله بن أحمد في **السنة**، (ح١٣٤٣). وهناد بن السري في **الزهد**، (٣٣٨). والطبري في **جامع البيان**، (١٣/ح٢١٥-٢١٦). والحاكم، (١/ح٣٧-٣٨)، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. والبيهقي في **الاعتقاد**، (١٠٨، ٢٢٠-٢٢٢)، وفي عذاب القبرِ، (٥٧، ٦٧، ٥٨)، من طرق عن محمد بن عمرو بهذا الإسناد، وإسناده حسن من أجل محمد بن عمرو، وهو ابن علقمة بن وقاص الليثي، وأخرج ءاخره بلفظ «عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: عذاب القبر». رواه الطبراني في **الأوسط**، من حديث ابن عباس مرفوعا «إذا دفن الميت سمع خفق نعالهم إذا ولو عنه منصرفين»، وإسناده حسن، وابن حبان في صحيحه، (ح٣١١٩). وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور، (ص٣١١، ٤٠٤). والهيثمي في **المجمع** (٣، ٥٢)، وقال: رجاله ثقات. ابن كثير، (١٦٩/٣)، وقال: رواه البزار بإسناد جيد. والسيوطي في الإكليل، (ص١٧٧)، وقال: إسناده جيد.

وقال هانئ مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي؟ فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد»**. قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»**[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: كنا مع نبينا ﷺ في جنازة فقال: **«يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال له: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فيقال له: صدقت. ويفتح له باب إلى النار فيقال له: هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ ءامنت به فإن الله أبدلك به هذا. فيفتح له باب من الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقال له: اسكن. ويفتح له في قبره. وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون قولًا فقلته. فيقال له: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت[2]. ثم يفتح له باب إلى الجنة ويقال له: هذا كان منزلك لو ءامنت بربك فأما إذ كفرت بربك فإن الله قد أبدلك به هذا ثم يفتح له باب من النار، ثم يقمعه ذلك الملك قمعة بالمطراق فيسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين»**. قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: ما

(١) رواه الترمذي.

(٢) أي ما اهتديتَ للإيمان في الدنيا، وعليه فلم تهتدِ للجواب في القبر.

منا أحد يقوم على رأسه ملك في يده مطراق إلا ذهل عند ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾»(١).

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل المؤمن قبره فأتاه ملكان فانتهراه فيقوم يهب كما يهب النائم فيسألانه من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟. فيقول: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي. فيقولان له: صدقت،**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم، (ح٨٨٦٥). والبزار، (ح٨٧٢). وأحمد، (٣/٣-٤). وقال الهيثمي في المجمع: «ورجاله رجال الصحيح». وللحديث شواهد منها: عن جابر عند أحمد، (٣/٣٦٤)، عن موسى بن داود عن ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها» فذكره. وابن لهيعة سيء الحفظ إلا أنه حسن في الشواهد.

قال بعضهم: وأخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن مردويه والبيهقي بسند صحيح عن أبي سعيد. وأخرجه أبو حنيفة في المسند، (ص٢١)، عن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله ﷺ: **إذا وضع المؤمن أتاه الملك فأجلسه، فقال: من ربك؟ فقال: الله. قال: ومن نبيك؟ قال: محمد. قال: وما دينك؟ قال: الإسلام. قال: فيفسح له في قبره ويرى مقعده من الجنة. فإذا كان كافرا أجلسه الملك فقال: من ربك؟ قال: هاه، لا أدري، كالمضل هو شيئا. فيقول: من نبيك؟ فيقول: هاه، لا أدري، كالمضل شيئا. فيقول: ما دينك؟ فيقول: هاه، لا ادري. قال: فيضيق عليه قبره ويرى مقعده من النار فيضربه ضربة يسمعه كل شيء إلا الثقلين، افنس والجن، ثم قرأ رسول الله ﷺ** ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾.

كذلك كنت. فيقال: افرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة. فيقول: دعوني حتى آتي أهلي. فيقولان له: اسكن»[1].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة، (ح٨٦٦)، وإسناده حسن. وأورده السيوطي في {الدر المنثور}، ج٤، ص٨١، عن أحمد وابن أبي الدنيا. والطبراني في الأوسط. والبيهقي من طريق ابن الزبير، أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أقول إنه رسول الله وعبده. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان من النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة. فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي. فيقال له: اسكن. وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟. فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلك الله مكانه مقعدك من النار». قال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يبعث كل عبد في القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه». وفي رواية عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «إذا رأى المؤمن ما فسح له في قبره يقول: دعوني أبشر أهلي. فيقال له: اسكن». أخرجه أحمد، (٣٣١/٣) بإسناد فيه أبو بكر بن عياش وهو ثقة إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح. وأخرجه أحمد، ج٣، ص٣٤٦، أيضا بإسناد فيه ابن لهيعة وهو سيء الحفظ. ويشهد له حديث أبي سعيد الخدري وأنس المتقدمين، وعليه فالحديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد، (١٧٢/٢). وابن حبان، (ح٣١١٥). وابن عدي في الكامل، (٨٥٥/٢)، من طريقين عن حُيي بن عبد الله المعافري عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو. وإسناده=

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر فتّانا القبر فقال عمر: أترد علينا عقولنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم كهيئتك اليوم**»[1].

وفي صحيح البخاريّ عن سمرة بن جندب قال: كان النبيّ ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «**من رأى منكم الليلة رؤيا**»؟ قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول: «**ما شاء الله**». فسألنا يومًا فقال: «**هل رأى أحد منكم رؤيا**»؟ قلنا: لا. قال: «**ولكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كُلُّوب[2] من حديد يدخله في شدقه[3] حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل في شدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟ قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر[4] فيشدخ[5] بها رأسه فإذا ضربه تَدَهْدَهَ الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى**

=حسن لأجل حيي المعافري فإنه صدوق. وأبو داود، (ح٣٢٢١). والحاكم، (٣٧٠/١). والبيهقي في السنن، (٥٦/٣)، وفي عذاب القبر، (ص٤٠)، بإسناد حسن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي والبيهقي، وقال النووي في شرحه على مسلم، (٢٩٢/٥): إسناده جيد

(١) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد.

(٢) الكلوب بفتح الكاف وتشديد اللام: الحديدة المعوجة الرأس.

(٣) الشدق جانب الفم.

(٤) الفهر: الحجر.

(٥) أي يكسر.

يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه. قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور[1] أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا وفيها رجال ونساء عراة. فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل، قلت: طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت. قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرءان فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة. وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة. والذي رأيته في النهر فآكلو الربا. وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم، والصبيان حوله فأولاد الناس، والذي يوقد النار فمالك خازن النار، والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار فدار الشهداء. وأنا جبرائيل وهذا ميكائيل،

(١) التنور: الفرن.

فارفع رأسك، فرفعت رأسي فإذا فوقي مثل السحاب. قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قُبِرَ الميت، أو قال أحدكم، أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير[1] فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يفسح له قبره سبعون ذراعًا في سبعين، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم. فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولون قولًا فقلت مثله لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا قال: شهدنا جنازة مع نبيّ الله ﷺ فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال نبيّ الله ﷺ: «إنه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صَيَاصِي البقر[3] وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه

---

(١) الملكان الموكلان بسؤال الميت.

(٢) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه

(٣) أي قرونها.

فإن كان ممن يعبد الله قال: كنت أعبد الله. والنبي محمد ﷺ جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه فذلك قول الله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ فيقال له: على اليقين حييت وعليه مِتَّ وعليه تبعث. ثم يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته. وإن كان من أهل الشك قال: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. فيقال له: على الشك حييتَ وعليه مِتَّ وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى النار، ويسلط عليه عقارب وثعابين لو نفخ أحدها على الدنيا ما أنبتت شيئا تنهشه. وتؤمر الأرض فتضم حتى تختلف أضلاعه»[1].

وفي الصحيحين عن أبي أيوب قال: خرج النبيّ ﷺ بعدما غربت الشمس فسمع صوتًا فقال: «يهود تعذب في قبورها». وفي الصحيحين أيضًا عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ مرّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير إثم أمّا أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة».

وقال الشاعر:

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنهم فيها بوالي[2] دوائر
تخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمتهمُ تحت التراب الحفائر
خلت دُورُهم منهم وأقوت[3] عراصهم[4] ... وساقتهمُ نحو المنايا المقادر

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط.

(٢) بوالي جمع بالية.

(٣) أقوت: خلت.

(٤) العراص: الأماكن الخالية جمع عرصة.

وأنت على الدنيا حريص منافس ... أتدري أيا مغرور فيم تخاطر
وإن امرأ يسعى لدنياه جاهدًا ... ويذهل عن أخراه لا شك خاسر

قال السيوطي في التثبيت: «إن القرءان الكريم أشار إلى عذاب القبر»

وقال:

أتى به القرءان بالإشارةْ ... ووافقت ءاياته الإنارةْ

وقال بعضهم: «إن الله تعالى أنزل على رسوله ﷺ وحيين واجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحكمة».

لا يرتاب الذين يتلون القرءان حق تلاوته، ويفقهونه حق فقهه، في أن عذاب القبر مذكور فيه، إذ إن المسلم يستمد منه كل ما يحتاجه في أمور العقيدة والعبادة والسلوك، وأن محمدًا ﷺ جاء مبينًا لما لمحت إليه الآيات الكريمة، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾(1).

وقد استجاب الله تعالى دعوة أبوينا إبراهيم وإسماعيل، فبعث في الأمة النبي الأمي ﷺ، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

(1) البقرة: ١٢٧ – ١٣٩.

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾[1].

فعذاب القبر مذكور في القرءان باعتبار أنّ بيان محمد ﷺ للكتاب إنما هو بيان من الله سبحانه وتعالى. فالله تعالى أنزل على رسوله ﷺ نوعين من الوحي، وأنه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2]، وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما، وهما الكتاب والحكمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ۝١١٣﴾[3]. وكما في قوله تعالى ءامرًا لنساء الرسول ﷺ ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾[4]. فالكتاب هو القرءان، والحكمة هي السنة على القول الراجح؛ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أوتيت القرءان ومثله معه**»، وفي رواية «**ومثليه معه**».

أما ما أشار إليه القرءان من عذاب القبر ونعيمه فمذكور في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٩٣﴾[5]. فهذا خطاب لأولئك الظالمين عند الموت، وقد أخبرت

---

(١) الجمعة: ٢-٣.

(٢) النجم: ٣-٤.

(٣) النساء: ١١٣.

(٤) الأحزاب: ٣٤.

(٥) الأنعام: ٩٣.

الملائكة أنهم حينئذ يجزون عذاب الهُون، ولو تأخر عنهم ذلك العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم ذلك من الملائكة الصادقين: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾. ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾﴾[1]، فحكم عليهم بضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم حين تتوفاهم وإن كنا لا نشاهده، وما تقول لهم الملائكة عند الموت وهم باسطو أيديهم وإن كنا لا نسمعهم ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾.

ومنها قوله عز وجل: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[2]. فذكر الله سبحانه وتعالى عذاب الدارين، وهذه الآية من أقوى الأدلة على عذاب القبر. ومنها قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾[3]، فهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، كما يحتمل أن يراد به عذابهم في البرزخ وهذا أظهر، لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا. وقد يقال وهو أظهر لأنَّ من مات منهم عذب في البرزخ، ومن بقي منهم في الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ.

---

(١) الأنفال: ٥٠-٥١.

(٢) غافر: ٤٥-٤٦.

(٣) الطور: ٤٥ – ٤٧.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[1]، وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم ابن عباس رضي الله عنهما على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأن هذا عذاب في الدنيا يُستدعى به رجوعهم عن الكفر، فإن الله سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين، أدنى وأكبر. فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقي لهم من العذاب الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ فإنه يدل على البعضية وهذا هو وجه الدقة في التعبير، ولم يقل «ولنذيقنهم العذاب الأدنى» فتأمله.

ومنها قوله عز وجل: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[2]. فقد ذكر الله تعالى في هذه الآيات أحوال الأرواح عند الموت، وذكر في أول السورة حالها يوم المعاد الأكبر، وقدم ذلك على هذا، وقد جعلهم الله عند الموت ثلاثة أقسام.

ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[3]. وقد اختلف سلف الأمة متى يقال للنفس المطمئنة ذلك،

---

(١) السجدة: ٢١.

(٢) الواقعة: ٨٣ – ٩٦.

(٣) الفجر: ٢٧ – ٣٠.

فقال كثيرٌ منهم: إن ذلك يكون عند الموت، وظاهر اللفظ يؤيد ذلك، فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه، وقد فسر ذلك النبي ﷺ فيما روي عنه: «**فيقال لها اخرجي راضية مرضية عنك**». وإذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلًا وتفسيرًا لما دل عليه القرءان العظيم.

مَرْوِيَّاتٌ عَنِ الصَّحَابَةِ فِي عَذَابِ القَبْرِ

روى عن رسول الله ﷺ في عذاب القبر ونعيمه تسعة وأربعين صحابيًّا هم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وأبو قتادة الأنصاري، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبو رافع، وأبو طلحة، وأبو أمامة، وأبو بَرْزَة، وأبو مرثد الغنوي، وأبو بكرة، وأبو موسى، وأنس بن مالك، والمقدام بن معدي كرب، والبراء بن عازب، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، والنعمان بن بشير، وأسماء بنت أبي بكر، وأم خالد، وأم مبشر، وأسماء بنت عميس، وبشير بن معبد، وجابر بن عبد الله، وخالد بن عرفطة، وخارجة بن زيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وسهيل بن بيضاء، وسَمُرَة بن حبيب، وسَمُرة بن جندب، وسلمان الفارسي، وسليمان بن صرد، وسليمان بن موسى، وسعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، ومالك بن صعصعة، ومسلم بن أبي بكرة، ومصعب بن سعد بن أبي وقاص، وعبادة بن الصامت، وعوف بن مالك، وعمارة بن حزم، وعمرو

بن حزم النصاري، وعقبة بن عامر، وعبد الرحمن بن أبي بكرة، وعبد الرحمن بن حَسَنَة، وعِتبان بن مالك، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وفضالة بن عبيد، وقيس الجذامي، وكعب بن مالك، وواثلة بن الأسقع، ويزيد بن ثابت.

هَلْ يُعَذَّبُ الـمَيِّتُ بِبُكَاءِ الحَيِّ عَلَيْهِ

ذكر لعائشة أن عبد الله بن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحي. قالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنَّهُ لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكي عليها أهلها فقال: «**إنكم لتبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها**»(١).

وعن ابن أبي مليكة قال: حضرت جنازة أبان بن عثمان فجاء ابن عمر فجلس، وجاء ابن عباس فجلس. فقال ابن عمر: ألا تنهى هؤلاء عن البكاء فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**». فقال ابن عباس مجيبًا له: قد كان عمر يقول بعض ذلك. خرجنا مع عمر حتى إذا كنا بالبيداء إذا بركبٍ في ظل شجرة فقال: يا عبد الله بن عباس فانظر من هؤلاء الركب. فجئت فإذا صهيب معه أهله. فقال لي: ادع لي صهيبًا. فصحبه حتى دخل المدينة فأصيب عمر فقال: وا أخاه، وا صاحباه. فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب لا تبكي عليَّ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يعذب الميت ببكاء**

---

(١) أخرجه مالك، (٢٣٤/١). وأحمد، (١٠٧/٦). والبخاري، (ح١٢٨٩). ومسلم، (ح٩٣٢). والترمذي، (ح١٠٠٦). والنسائي، (١٧/٤). وابن ماجه، (ح١٥٩٥). والبيهقي، في **السنن**، (٧٢/٤). وفي **عذاب القبر**، (ص٨٨).

أهله عليه» فذكر ذلك لعائشة فقالت: والله ما تحدثون عن كذابين ولا مكذبين وإن لكم في القرءان ما يكفيكم عن ذلك: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1] ولكن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يزيد الكافر ببكاء أهله عليه»[2].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: وا جبلاه وا سيداه أو نحو هذا إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت»[3].

---

(١) الزمر: ٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق، (ح٦٦٧٥). والشافعي في المسند، (١/٥٥٨). والبخاري، (ح١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨). ومسلم، (ح٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩). والنسائي، (٤/١٨-١٩). والبيهقي، (٤/٧٣). وابن حبان، (ح٣١٢٦). والبغوي، (ح١٥٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي، (ح١٠٠٣). وروى مسلم عن عمر مرفوعا «إن الميت ليعذب ببكاء الحي عليه». ورواه البخاري بلفظ «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه». وعن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة» متفق عليه. وعن عمر بن الخطاب قال: قال النبي ﷺ: «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه». وفي رواية «الميت يعذب في قبره ما نيح عليه». وفي صحيح البخاري عن عمر أيضا «إن الميت ليعذب ببعض بكاء أهله عليه».

ويدل أيضا أنه ليس المراد مطلق البكاء، ففي مصنف ابن أبي شيبة من حديث عائشة قالت: حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر سعد بن معاذ، «فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرتي». ورواه أحمد عنها أيضا بلفظ: أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر «فوالذي نفسي بيده إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإنا في حجرتي». وجه الاستدلال بهذا الحديث تقرير النبي ﷺ على البكاء وعدم إنكاره عليهما. فإن قيل إن المكلف لا يعذب بفعل غيره نقول: ذهب أكثر

مِمَّا يُنْجِي مِنْ عَذَابِ القَبْرِ

عن المقداد بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه»(١).

وفي سنن النسائي عن رشدين بن سعد عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون(٢) في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف(٣) على رأسه فتنة».

=العلماء إلى تأويل هذه الأحاديث لمخالفتها للعمومات القرءانية. وفي الزواجر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة فضربها حتى سقط خمارها وقال: اضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها، إنها لا تبكي لشجوكم، إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم، وإنها تؤذي موتاكم في قبورهم وأحياكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به.

(١) رواه ابن ماجه والترمذي.

(٢) أي يسألون.

(٣) بارقة السيوف: لمعانها.

وفي جامع الترمذي من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال: **«كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه يُنَمَّى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر»**[1].

وفي سنن النسائي عن جامع بن شداد قال: سمعت عبد الله بن يشكر يقول: كنت جالسًا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلًا مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله ﷺ: **«من يقتله بطنه فلن يعذب في قبره»**، فقال الآخر: بلى.

وفي الترمذي من حديث ربيعة بن يوسف عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»**[2].

وقال أبو عمر بن عبد البر: وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **إن سورة ثلاثين ءاية شفعت في صاحبها حتى غفر له ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**. وكذلك من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في مرضه الذي يموت فيه لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطته وحملته الملائكة يوم القيامة بأكمله حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة**»[3].

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) والحديث ضعيفٌ لكن الكلام فيه على السؤال، وليس على العذاب.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن الشخير.

الأَرْضُ لَا تَأْكُلُ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ

عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق ءادم وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ**». قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟[1] فقال: «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[2]. والعجب كل العجب ممن ينكرون ذلك!! ولا بُعْدَ مِن فضل الله على أنبيائه فإن كان كرمهم في الدنيا ونصرهم فكان تكريمهم في قبورهم أولى، والذين ينكرون الحديث أو يحاولون تضعيفه خاطئون[3].

وقد خرجه ابن ماجه من غير هذا فقال: حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن أيمن عن عبادة بن نُسَيٍّ عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحدًا**

(١) ما كانوا عرفوا بعد أنَّ أجسادَ الأنبياء لا تبلى.

(٢) أخرجه أبو داود وابن ماجه في سننهما واللفظ لأبي داود، وقال ابن العربي حديث حسن.

(٣) فقد قال الإمام القرطبي في هذا الحديث: قلت: وخرجه البزار عن شداد بن أوس واتفقوا في السند عن حسين بن عليّ عن عبد الرحمن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني، فقال عن أوس بن أوس أو عن شداد بن أوس. وقال البزار لا يعلم أحدًا يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس ولا نعلم له طريقًا غير هذا الطريق عن شداد بن أوس ولا رواه إلا حسين بن علي الجعفي، وقال أبو محمد عبد الحق: ويقال إن عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم. قاله البخاري وأبو حاتم وهو منكر الحديث وضعيفه.

ممن يصلي عليّ إلا عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها». قال: قلت: وبعد الموت؟. قال: «**وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». فنبيّ الله حيّ يرزق**[1]. ومما تقدم يتبين أن الحديث حسن وقد روي من أكثر من طريق وليس كما قال البزار فالحديث حسن والحمد لله فالأرض لا تأكل أجساد الأنبياء.

البَعْثُ وَالنَّفْخُ فِي الصُّورِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل من اليهود بسوق المدينة: «والذي اصطفى موسى على البشر». فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه وقال: «تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ»؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**قال الله عز وجل:** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[2] **فأكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى ءاخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**[3]».

---

(١) رواه أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال عن يزيد بن أيمن عن عبادة بن نسيء عن أبي الدرداء قال أبو محمد عبد الحق: وزيد بن أيمن لا أعلم رواة عنه إلا سعيد بن هلال. التذكرة، (٢٠٤/١).

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) أي من فضّلني على يونَس برأيه وهواه فقد أخطأ وكذب، وهذا قبل أن يعلم الرسول بالوحي أنه أفضل الأنبياء، وأما بعد أن علم فيقال هو عليه الصلاة والسلام أفضل الأنبياء على

قال القرطبي: «واختلف العلماء في المستثنى من هو، فقيل الملائكة، وقيل الأنبياء، وقيل الشهداء، واختاره الحليمي وقال وهو مروي عن ابن عباس أن الاستثناء لأجل الشهداء، فإن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾[1] وضعف غيره من الأقوال».

قلت: قد ورد حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح على ما يأتي، وأسند النحاس في كتاب «معاني القرءان» له، حدثنا الحسين بن عمر الكوفي قال: حدثنا هنَّاد بن السري قال: حدثنا وكيع عن شعبة عمارة بن أبي حفصة عن حجر الهجري عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾[2] قال هم الشهداء. وقال الحسن: طوائف الملائكة يموتون بين النفختين.

قال يحيى بن سلام في تفسيره: بلغني أن ءاخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل. ثم يقول الله لملك الموت «مت» فيموت، وقد جاء هذا مرفوعًا من حديث أبي هريرة الطويل.

وقيل هم حملة العرش، وجبريل وميكائيل وملك الموت. وقال الحليميّ: من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش أو جبريل وميكائيل وملك الموت، أو

الإطلاق وأفضل الخلق. أما التفضيل بين الأنبياء بالرأي والهوى بغير علمٍ فهو الخطأ والممنوع شرعًا، وإذا كان مع الدليل فهو حقٌّ لأنَّ الله تعالى قال في القرءان: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ٢٥٣﴾.

(١) ءال عمران: ١٦٩.

(٢) الزمر: ٦٨.

زعم أنه لأجل الولدان والحور العين في الجنة، أو زعم أنه لأجل موسى فإن النبي ﷺ قال: **«أنا أول من تنشق عنه الأرض فأرفع رأسي فإذا أنا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو كان ممن استثنى اللهُ عز وجل».** فإنه لم يصح شيء منها.

أما الأول فإن حملة العرش ليسوا من سكان السموات والأرض لأن العرش فوق السموات كلها، فكيف يكون حملته في السموات. وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصافِّينَ المسبِّحين حول العرش، وإذا كان العرش فوق السموات لم يكن الاصطفاف حوله في السموات.

وكذلك القول الثاني، لأن الولدان والحور في الجنة والجنات وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السموات ودون العرش. وصرفه إلى موسى لا وجه له لأنه مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانيةً. ولهذا لم يعتد في ذكر اختلاف المتأولين في الاستثناء بقول من قال: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1] أي الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور، لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله في الجملة، فأما من لا يمكن دخوله في الجملة فيها فلا معنى لاستثنائه منها. والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بغرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثنائهم، وهذا في موسى موجود فلا وجه لاستثنائه.

وقال النبيّ ﷺ في ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال: **«الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى ءاخذ**

---

(١) الزمر: ٦٨.

بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي او جوزي بصعقة الطور». فظاهر الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور.

وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله، قيل: المعنى أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فإذا بموسى ءاخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزي بصعقة الطور. أي قدم بعثه على بعث الأنبياء الآخرين بقدر صعقته عندما تجلى رب العزة للجبل[1] إلى أن أفاق ليكون هذا جزاء له بها.

فَنَاءُ العِبَادِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة يطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[2]. والحديث يدل على أن الحق تبارك وتعالى يفني جميع خلقه.

---

(١) أي أرى اللهُ الجبل ذاته الذي لا يشبه شيئا، فليس معنى التجلِّي ظهور من خلف شىء يحجبه كستارة ونحو ذلك، فالله لا يجوز عليه التحيُّز.

(٢) الحديث أخرجه الشيخان.

ثم بعد حشر العباد ينادي منادٍ على أرض بيضاء مثل الفضة لم يُعْصَ الله تعالى عليها على ما يأتي ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيب الملك أيضًا: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ١٦﴾[1].

وفي حديث أبي هريرة الطويل رضي الله عنه: ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فإذا اجتمعوا أمواتًا جاء ملك الموت يقول: قد مات أهل السماء والأرض إلا ما شئت فيقول الله سبحانه - وهو أعلم - من بقي؟ فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت وبقي حملة العرش وبقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا. فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله عز وجل العرش فيقول: أي رب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: إني كتبت الموت على كل من تحت عرشي فيموتان. قال: ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل. فيقول الله سبحانه - وهو أعلم - من بقي؟ فيقول: يا رب بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقي حملة عرشك وبقيت أنا. فيقول: ليمت حملة العرش. فيموتون. فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يقول: ليمت إسرافيل. فيموت ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة العرش. فيقول سبحانه - وهو أعلم - من بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا يموت، وبقيت أنا. فيقول الله: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيتُ فَمُتْ. فيموت. فإذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا

---

(١) رواه أبو وائل بن مسعود، واختاره أبو جعفر النحاس، قال: والقول الصحيح عن ابن مسعود، وليس هو مما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل.

ولدًا ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾[1]، فكان كما كان أولًا، طوى السماء[2] كَطَيِّ السِّجِلِّ للكتب.

النفخ الثاني في الصور

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[3]. وقال: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝﴾[4]. وقال: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝﴾[5]. وقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝﴾[6]. وسميَ بالناقور، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝﴾[7]. قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق، وقال تعالى مُخْبِرًا عن الكفار: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝﴾[8]، ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظر كفار ءاخِر هذه الأمة الدائنون بدين أبي جهل وأصحابه، ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يَعْنِي النفخة الأولى التي بها يكون هلاكهم، ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝﴾ أي تأخذهم وهم في حال أنهم يختصمون في أسواقهم وحوائجهم كعادتهم.

---

(١) الإخلاص: ٣-٤.

(٢) أي بلا مباشرة ولا مماسَّة ولا حركة منه ولا سكون بل يفعل ذلك بها بقدرته جلَّ جلاله.

(٣) النمل: ٨٧.

(٤) المؤمنون: ١٠١.

(٥) الزمر: ٦٨.

(٦) النبأ: ١٨.

(٧) المدثر: ٨.

(٨) يس: ٤٩.

وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾[1]، هذه هي النفخة الثانية، نفخة البعث. والصور قرن. قال مجاهد: وهو كالبوق. ذكره البخاري، فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ أي يخرجون سراعًا، يقال نسل ينسِل وينسُل بالضم أيضًا، إذا أسرع في مشيه، فالمعنى يخرجون مسرعين.

وفي الخبر أن بين النفختين أربعين عامًا، وقيل ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى، و﴿ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ الثانية، وإذا صيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم لقوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾[2]. وقد أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم يقولون: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾[3]، فيقول لهم الملائكة أو المؤمنون على اختلاف المفسرين: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[4]، وقيل إن الكفار هم القائلون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم لبعض: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به، ثم قالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ فكذبنا به. أقروا حين لا ينفعهم الإقرار، ثم يؤمر بحشر الجميع إلى الموقف والحساب.

فالنفخ في الصور إنما هو سبب لخروج أهل القبور وغيرهم، فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات، ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع

---

(١) يس: ٥١.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) يس: ٥٢.

(٤) يس: ٥٢.

وغيرها حتى تصير كهيأتها الأولى، ثم يجعل فيها الأرواح فيقوم الناس كلهم أحياء.

قال القرطبي: قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ أي في الصور، فإذا نفخ فيه للإصعاق؛ جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أشد وأعظم، ثم يمكث الناس أربعين عاما، ثم ينزل الله ماء كمني الرجال فتكون منه الأجسام بقدرة الله تعالى حتى يجعلهم بشرًا، كما روي في قصة العصاة الذين يخرجون من النار، صاروا حممًا، أنهم يغتسلون من نهر بباب الجنة فينبتون نبات الحِبَّة في حَميل السيل.

وعن ذلك عبر في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم وغيره «**فينبتون نبات البقل**».

ثم الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بين أهل السنة، قال بعضهم: بأوصافها، فيعاد الوصف أيضًا كما يعاد الجسم واللون. قال القاضي أبو بكر بن العربي: «وذلك جائز في حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر».

واختلف في عدد النفخات فقيل: ثلاث، نفخة الفزع لقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾[1]، ونفخة

(١) النمل: ٨٧.

الصعق، ونفخة البعث لقوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[(١)]، وهذا هو المرجوح.

والراجح أنهما نفختان، ونفخة الفزع هي نفخة الصعق لأن الأمرين لازمان لهما، أي فزعوا فزعًا ماتوا منه. والسُّنَّة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث. قال القرطبي في ذلك: وهو الصحيح إن شاء الله.

صِفَةُ البَعْثِ

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾[(٢)]، وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾[(٣)].

وعن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق، وما ءاية ذلك في خلقه؟ قال: «**أما مررت بوادي قومك جدبًا، ثم مررت به يهتز خضرًا**» قال: نعم. قال ﷺ: «**فتلك ءاية الله في خلقه**»[(٤)].

---

(١) الزمر: ٦٨.

(٢) الأعراف: ٥٧.

(٣) الروم: ٤٨ – ٥٠.

(٤) أخرجه أبو داود والبيهقي. وقال القرطبي: هذا حديث صحيح موافق لنص التنزيل والحمد لله.

بَعْثُ العَبْدِ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»[١]. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد الله بقوم عذابًا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا اللون لون الدم والعرف عرف المسك**».

وعن عبد الله بن عمرو قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ؟ فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، إِنْ قَاتَلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا، وَإِنْ قَاتَلْتَ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا بَعَثَكَ اللَّهُ مُرَائِيًا مُكَاثِرًا**[٣]**، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، عَلَى أَيِّ حَالٍ قَاتَلْتَ، أَوْ قُتِلْتَ بَعَثَكَ اللَّهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ**»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) أخرجه البخاريّ في صحيحه.

(٣) أي بعثك على حالةٍ قبيحة وسيِّئةٍ تدلُّ على فضيحتك بين الخلائق يوم القيامة، وهذا من عُظمِ شؤم الرياء فإنه من كبائر الذنوب.

(٤) رواه أبو داود.

وعن ابن عباس أن رجلًا كان مع رسول الله ﷺ محرمًا، فوقصته ناقته فمات، فقال رسول الله ﷺ: **«اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة مُلَبِّيًا»**(١).

وعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«النياحة على الميت من أمر الجاهلية فإن النائحة إن لم تتب قبل أن تموت فإنها تبعث يوم القيامة عليها سرابيل من قَطِران ثم يعلى عليها بدرع من لهب النار»**، وفي رواية **«تقام يوم القيامة وعليها سربال من قَطِران ودرع من جرب»**(٢).

عِنْدَمَا يَقُومُ الـمُؤْمِنُ مِنْ قَبْرِهِ

قال القرطبي من حديث جابر مرفوعًا: «فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتابًا معقودًا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد»(٣). وذكر أبو نعيم أيضًا عن ثابت البنانيّ أنه قرأ ﴿حمٓ ۝١﴾(٤) حتى إذا بلغ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾(٥) وقف فقال:

---

(١) رواه الجماعة، والنسائي عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن ماجه واللفظ له، والرواية أخرجها مسلم في صحيحه. وكذلك أخرجه النسائي بلفظ ءاخر.

(٣) ذكره أبو نعيم.

(٤) فصلت: ١.

(٥) فصلت: ٣٠.

«بلَغَنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن أبشر بالجنة التي كنت توعد. قال: فأمن الله خوفه وأقر عينه، فما عظيمة تغشى الناس يوم القيامة فالمؤمن في قرة عين لما هداه الله له، ولما كان يعمل له في الدنيا»[1].

أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليكم يا محمد، وذكر الحديث وفيه: فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾[2]؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هم في الظلمة دون الجسر»**[3].

وعن عائشة رضي الله عنها قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ فأين يكون الناس يومئذ؟ قال: **«على الصراط»**[4]. وعنها أيضًا قالت: يا رسول الله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

---

(١) التذكرة، (٢٣٢/١).

(٢) إبراهيم: ٤٨.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه مسلم وابن ماجه.

﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[1] فأين يكون المؤمنون يومئذ؟ قال: «على الصراط يا عائشة»[2].

قال ابنا عباس وابن مسعود: تبدل الأرض أرضًا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة قط. وقال ابن مسعود أيضًا: تبدل الأرض نارًا والجنة من ورائها يرى أكوابها وكواعبها. وقال أبو الجلد جيلان بن فروة: إني لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشعل نارًا يوم القيامة.

وأما تبديل السماء فقيل تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها. قال ابن عباس: «وقيل اختلاف أحوالها، فتارة كالمهل، وتارة كالدهان»، حكاه ابن الأنباري. وقال كعب: «تصير السماء دخانًا، وتصير البحار نيرانًا، وقيل تبديلها أن تطوى كطي السجل للكتب». وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة في كتاب الإفصاح له: أنه لا تعارض بين هذه الآثار، وأن الأرض والسموات تبدل كرّتين إحداهما هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولا كواكبها، وتكشف شمسها وقمرها، وتصير كالمهل ثم تكشط عن رءوسهم، ثم تسيَّر الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيرانًا، ثم تنشق الأرض، ومن قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة، والبنية غير البنية، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض وبدت السماء سماء أخرى وهو قوله: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[3].

---

(1) الزمر: ٦٧.

(2) أخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح.

(3) الزمر: ٦٩

وبدلت الأرض، تمد مد الأديم العكاظي وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها وفي بطنها، وتبدل أيضًا تبديلًا ثانيًا، وذلك إذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الأرض التي يقال لها {الساهرة} يجلسون عليها، وهي أرض عفراء، وهي البيضاء فضة لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط. حينئذ يقوم الناس على الصراط، فقد روي أن مسافته ألف سنة صعودًا، وألف سنة هبوطًا، وألف سنة استواءً، على متن[1] جهنم، وهي كإهالة جامدة، وهي الأرض التي قال عبد الله: إنها أرض من نار يعرق فيها البشر؛ فإذا حوسب الناس على الساهرة وجاوزوا الصراط، وجعل أهل الجنان من وراء الصراط، وأهل النيران في النار، وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون.

وخلاصة الأمر أن الأرض تتبدل وتزال، ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الصراط. والله تعالى أعلم.

وقد قال ابن الواسطي:

مثل لنفسك أيها المغرور ... يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدنيت ... حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت ... وتبدلت بعد الضياء كُدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها ... ورأيتها مثل الجحيم تفور
وإذا العشار تعطلت وتخربت ... خَلَتِ الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدى القيامة أُحْضِرَتْ ... وتقول للأملاك أين نسير

(١) أي فوقها.

وإذا تقاة المسلمين تزوجت | من حور عين زانهن شعور
وإذا الوئيدة سوئلت عن شأنها | وبأي ذنب قتلها ميسور
وإذا الجليل طوى السماء بيمينه | طي السجل كتابه المنشور
وإذا الصحائف عند ذاك تساقطت | تبدي لنا يوم القصاص أمور
وإذا الصحائف نشرت فتطايرت | وتهتكت للمؤمنين ستور
وإذا السماء تكشطت عن أهلها | ورأيت أفلاك السماء تدور
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها | فلها على أهل الذنوب زفير
وإذا الجنان تزخرفت وتطيبت | لفتى على طول البلاء صبور
وإذا الجنين بأمه متعلق | يخشى القصاص وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف جناية | كيف المصر على الذنوب يحور

قال الله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]. روى الشيخان عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما، عن النبيّ ﷺ قال: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيِّي محمدٌ ﷺ، فذلك قوله عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾»[2].

---

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) البخاري، (ح ١٣٦٩). مسلم، (ح ٢٨٧١).

وقال جل شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾(١). قال ابن كثير المجسِّم: «قال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا وضع - يعني الكافر - في قبره، فيرى مقعده من النار، قال: ربّ، ارجعونِ أتوب وأعمل صالحًا، فيقال: قد عمرت ما كنت معمرًا. قال: فيضيق عليه قبره، فهو كالمنهوش، ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض وحيّاتها وعقاربها»(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾(٣). قال ابن كثير المجسِّم: إن أرواحهم تعرض على النّار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النّار، ولهذا قال ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾، أي أشده ألمًا وأعظمه نكالًا، وهذه الآية أصلٌ كبيرٌ في استدلال أهل السنّة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾(٤).

---

(١) المؤمنون: ٩٩، ١٠٠. والبرزخ هو الفترة التي يقضيها الإنسان في قبره من بعد موته إلى قيام الساعة.

(٢) تفسير ابن كثير، (١٠/١٤٧).

(٣) غافر: ٤٥، ٤٦.

(٤) تفسير ابن كثير، (١٢/١٩٣).

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1]. وقال ابن كثير المجسِّم: قال الله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي في سكَرَاته وغمَراته وكُرباته. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾؛ وذلك أن الكافر إذا احتُضِر بشَّرتْهُ الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمٰن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتِّباع ءاياته، والانقياد لرسله[2]. قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «هذا الضرب، وإن كان قبل الدفن، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العصاة يعذب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوبٌ عن الخلق، إلا من شاء الله»[3].

---

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير، (١١٣/٦).

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، (٢٧٦/٣-٢٧٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[١]. روى ابن جرير الطبريّ عن قتادة: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، عذاب الدنيا وعذاب القبر، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٢].

وقال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[٣]. روى الطبريّ عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، قال في قول الله ﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾: «عذاب القبر»[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[٥]، روى ابن جرير الطبريّ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾، يقول: «عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة»[٦]. وروى ابن جرير الطبري عن قتادة أن ابن عباسٍ كان يقول: إنّ عذاب القبر في القرءان، ثم تلا: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾.

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) تفسير الطبري ج١٤، ص٤٤٢.

(٣) طه: ١٢٤.

(٤) تفسير الطبري، (٣٩٣/١٨).

(٥) الطور: ٤٧.

(٦) تفسير الطبري، (٤٨٧/٢٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾(١). روى مسلمٌ عن مسروقٍ، قال: سألنا عبد الله بن مسعودٍ عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾(٢)، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ، لها قناديل معلقةٌ بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلَع إليهم ربهم اطِّلاعةً(٣)، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟! ففعل ذلك بهم ثلاث مراتٍ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرةً أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تركوا**»(٤).

وقال سبحانه: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ

---

(١) آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

(٢) ءال عمران: ١٦٩.

(٣) قال القرطبي: «أي تجلّى لهم برفع حجبهم (أي أسمعهم كلامه) وكلمهم بغير واسطة». والمعنى أنه يسمعهم كلامه إكرامًا لهم، وكلام الله ليس ككلام المخلوقين، ليس مبتدأً ولا مختتمًا، وهو بلا حرفٍ ولا صوتٍ ولا لغة، ولا بأي صفة حادثة.

(٤) صحيح مسلم، (ح١٨٨٧).

أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾[1].

عَذَابُ القَبْرِ وَنَعِيمُهُ فِي السُّنَّةِ

جاءت أحاديث كثيرة تثبت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين بروايات عديدةٍ ثابتة مقبولة عند الأمة توجب الاعتقاد الجازم بصحة حدوث ذلك، ونذكر منها:

ما روى البخاريّ عن عائشة، رضي الله عنها، أنّ النبيّ ﷺ كان يتعوذ: «**اللّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة**[2] **النار، ومن عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة القبر، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**»[3].

وروى الشيخان عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبيرٍ أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»[4].

---

(١) **الواقعة**: ٨٣ - ٩٦.

(٢) الفتنة في اللغة: الاختبار.

(٣) **صحيح البخاري**، (ح٦٣٧٦).

(٤) **صحيح البخاري**، (ح٢١٨). **صحيح مسلم**، (ح٢٩٢). قال الإمام النووي رحمه الله: في هذا الحديث إثبات عذاب القبر، وهو مذهب أهل الحق؛ **صحيح مسلم بشرح النووي**، (٢/٢٠٦).

وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشيّ، إن كان من أهل الجنّة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(١). قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: في هذا الحديث إثبات عذاب القبر: «وأن الروح لا تفنى بفَناء الجسد»(٢).

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ **إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربعٍ: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**»(٣). وروى مسلم أيضًا عن عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: لما كان يوم الأحزاب، قال رسول الله ﷺ: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا، كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس**»(٤).

وروى مسلم عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: «**إنّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»(٥).

---

(١) صحيح البخاري، (ح١٣٧٩). صحيح مسلم، (ح٢٨٦٦).

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، (٣/٢٨٧).

(٣) صحيح مسلم، (ح٥٨٨).

(٤) صحيح مسلم، (ح٦٢٧).

(٥) صحيح مسلم، (ح٢٨٦٧).

وعن ابن مسعود أنّ النبيّ ﷺ قال: «**إنّ الموتى ليعذبون في قبورهم حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم**»(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: أتيت عائشة حين خسفت الشمس فإذا الناس قيام يصلون وإذا هي قائمة تصلي فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها إلى السماء وقالت: سبحان الله، فقلت: ءاية؟ فأشارت أن نعم. قالت: فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب الماء فوق رأسي، فحمد اللهَ رسولُ الله ﷺ وأثنى عليه ثم قال: «**ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريبا من فتنة الدجال** - لا أدري أيتهما قالت أسماء - **يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل. فأما المؤمن أو الموقن** - فلا أدري أي ذلك قالت أسماء - **فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وءامنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحًا قد علمنا أن كنت لمؤمنًا. وأما المنافق أو المرتاب** - لا أدري أيتهما قالت أسماء - **فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته**»(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، (ح١٠٤٥٩)، وقال: إسناده حسن. وأبو نعيم في **أخبار أصبهان**، (١٨٩/١). وذكره الهيثمي في **مجمع الزوائد**، (٥٦/٣).

(٢) أخرجه مالك في **الموطأ**، (١٨٨/١-١٨٩)، ومن طريقه أخرجه البخاريّ، (ح١٨٤، ١٠٥٣، ٧٢٨٧). وأبو عوانة، (٣٧٠/٢). وابن حبان، (ح٣١١٤). والبغوي في **شرح السنة**، (ح١١٣٧)، عن هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء.

وأخرجه أحمد، (٣٤٥/٦). والبخاري، (ح٨٦، ٩٢٢، ١٠٦١، ١٢٣٥). ومسلم، (ح٩٠٥). وأبو عوانة، (٣٦٨/٢-٣٦٩-٣٧٠). والبغوي، (ح١١٣٨). =

قال النوويّ رحمه الله: «قال أصحابنا[1] لا يمنع من سؤال الملكين وعذاب القبر كون الميت قد تفرقت أجزاؤه، كما نشاهد في العادة، أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك، فكما أنّ الله تعالى يعيده للحشر، وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك، فكذا يعيد الحياة إلى جزءٍ منه أو أجزاءٍ وإن أكلته السباع والحيتان، فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره، فكيف يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟! فالجواب أنّ ذلك غير ممتنعٍ، بل له نظير في العادة، وهو النائم، فإنه يجد لذةً وءالامًا لا نحس نحن

=وأخرجه البخاريّ، (ح١٣٧٣). والنسائيّ، (١٣٠/٤-١٠٤). والبيهقي في عذاب القبر، (ص١٠٢)، من طريق الزهري عن عروة به مختصرا.

وأخرج أحمد، (٢٥٢/٦-٢٥٣)، عن حجين بن المثنى عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر عن أسماء عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنا أحف به عمله الصلاة والصيام فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه: اجلس. فيجلس فيقول له: مذا تقول في هذا الرجل؟ قال: من؟ قال: محمد. قال: أشهد أنه رسول الله ﷺ. يقول: وما يدريك أدركته؟ قال: أشهد أنه رسول الله. يقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث. وإن كان فاجرا أو كافرا جاء الملك وليس بينه وبينه شيء يرده. فأجلسه. يقول: اجلس ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. يقول: والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. فيقول له الملك: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث، وتسلط عليه دابة في قبره معها سوط تمرته جمرة مثل غرب البعير تضربه ما شاء الله صماء لا تسمع صوته فترحمه**». وإسناده صحيح. وأخرجه الطبراني في الكبير، (٢٨١/٢٤) من طريق حجاج بن الشاعر عن حجين بإسناد أحمد.

(١) أي الشافعية.

شيئًا منها، وكذا يجد اليقظان لذةً وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسه منه، وكذا كان جبرائيل يأتي النبيّ ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون، وكل هذا ظاهر جليّ، وأما ضربه بالمطارق فلا يمتنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويضرب»[1].

وروى أبو داود عن فضالة بن عبيدٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل الميت يختم على عمله، إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتّان القبر**».

وروى ابن ماجه عن هانئٍ مولى عثمان رضي الله عنه، قال: كان عثمان بن عفان إذا وقف على قبرٍ يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشد منه**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبرُ أفظعُ منه**»[2].

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قَدِّمُونِي، وإن كانت غير**

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، (٩/٢٢٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه، (ح٤٢٦٧). والترمذي، (ح٢٣٠٨). وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/٦٣-٦٤). والحاكم، (١/٣٧١). والبيهقي، (٤/٥٦).

صالحة قال يا ويلها أين يذهبون بها. يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق»[1].

وروى ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **«سورة تبارك هي المانعةُ مِن عذاب القبر»**.

وروى أبو داود عن البراء بن عازبٍ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر[2]، ولمّا يُلْحَد[3]، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير[4] وفي يده عود ينكت به في الأرض[5]، فرفع رأسه، فقال: **«استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثًا»**، وقال: **«وإنه ليسمع خفق نعالهم[6] إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ قال: ويأتيه ملَكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال: فيقول: هو رسول الله ﷺ،**

---

(١) أخرجه البخاري، (ح١٣١٤، ١٣١٥) من حديث أبي بكر، (١٣١٦، ١٣٨٠). ومسلم، (ح٩٤٤)، من حديث أبي بكر. والنسائي، (٤١/٤) من حديث أبي هريرة. والبيهقي في السنن، (٢١/٤)، بلفظ **«أسرعوا بالجنازة فإن تكن صالحة فخير تقدموها إليه وإن تكن سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم»**. وفي عذاب القبر، (ص٤٢). وأبو داود، (١٨٣/٢).

(٢) أي وصلنا إليه.

(٣) أي لم يلحد.

(٤) أي: لا يتحرك منا أحد توقيرًا لمجلسه ﷺ.

(٥) أي يضرب بطرفه الأرض.

(٦) أي صوت نعالهم.

فيقولان: وما يدريك؟[١] فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت[٢]، فذلك قول الله عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٣]، قال: فينادي منادٍ من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، وألبسوه من الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها[٤]،ويفتح له فيها[٥] مد بصره[٦]، قال: «وإن الكافر» فذكر موته[٧]، قال: «وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه[٨]، لا أدري[٩]، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها[١٠]

---

(١) أي شيءٍ أخبرك وأعلمك؟.

(٢) أي بالقرآن أو بالنبي أنه حق.

(٣) إبراهيم: ٢٧.

(٤) الراحة والنسيم.

(٥) أي في تربته وهي قبره

(٦) أي منتهى بصره.

(٧) أي حال موت الكافر وشدته.

(٨) كلمة يقولها المتحير.

(٩) لا أدري ما أجيب به.

(١٠) المطرقة الكبيرة.

وسمومها[1]، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه[2]، ثم يقيض[3] له أعمى أبكم معه مرزبة من حديدٍ[4]، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا، فيضربه بها ضربةً يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثَّقَلين، فيصير ترابًا، ثم تعاد فيه الروح».

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِر الميت - أو قال: أحدكم - أتاه ملَكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: إن كنا لنعلم أنك لتقول ذلك، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، وينور له فيه، ثم يقال له: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا، فكنت أقوله، فيقولان

---

(١) وهي الريح الحارة.

(٢) أي حتى يدخل بعضها في بعضٍ من شدة التضييق والضغطة

(٣) أي يسلط عليه ويوكل به.

(٤) أي حر النار وهو تأثيرها.

له: **إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض التئمي، فتلتئم عليه، حتى تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال معذَّبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»**(١).

الحِكْمَةُ مِنْ إِخْفَاءِ عَذَابِ القَبْرِ

يمكن أن نوجز الحكمة من عدم سماع الإنسان لعذاب القبر في الأمور الآتية:

- الخوف من عدم دفن الناس لموتاهم. روى مسلم، عن زيد بن ثابتٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»(٢).
- في إخفاء عذاب القبر ستر للمسلم للعاصي.
- في إخفاء عذاب القبر عدم إزعاج لأهل الميت؛ لأنهم إذا سمعوا ميتهم يعذب، فسوف يجلب ذلك عليهم الحزن باستمرار.
- في إخفاء عذاب القبر عدم شعور أهل الميت بالخجل؛ لأن بعض الناس سيقولون لهم: انظروا هذا أبوكم، هذا أخوكم، هذا ولدكم، يعذب في قبره.
- قد يموت الإنسان أو يغشى عليه من سماع صراخ المعذبين في قبورهم.

---

(١) أخرجه الترمذي، (ح١٠٧١)، وابن أبي عاصم، في **السنة**، (ح٨٦٤). وابن حبان، (ح٧٨٠). والآجري في **الشريعة**، (ص٣٦٥). والبيهقي في **عذاب القبر**، (ح٥٦)، من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة. وإسناده صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم.

(٢) **صحيح مسلم**، (ح٢٨٦٧).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: قوله: لَصعق؛ أي: لَغُشِي عليه من شدة ما يسمعه، وربما أطلق ذلك على الموت، والضمير في يسمعه راجع إلى دعائه بالويل أي يصيح بصوتٍ منكرٍ، لو سمعه الإنسان لغشي عليه، قال ابن بزيزة: هو مختص بالميت الذي هو غير صالح[1].

عَقِيدَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فِي عَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ

اتفق أهل السنة والجماعة على وجوب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه[2]. وسوف نذكر بعض أقوال سلفنا الصالح. وما سنذكره وننقله عن بعض المجسِّمة والفاسدين والوهابية كأمثال ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن حزم والألباني وحافظ حكمي وابن باز واللجنة الدائمة السعودية الوهابية هو من باب التأكيد على أنَّ هذه المسألة حتى هؤلاء الشذاذ وافقوا أهل السنة فيها لا أنهم هم العمدة بل للرد على من يتقوَّى بهم، وإلا فهم أقل من أن يذكروا ويحتج بهم، وما عندنا من الأدلة القرءانية والحديثية وإجماع أهل السنة والجماعة فهو كافٍ وافٍ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: روى عبدالرزاق عن سعيد بن المسيب قال: رأيت أبا هريرة يصلي على المنفوس (الجنين السقط) الذي لم يعمل خطيئةً قط، فيقول: «اللَّهُمَّ أعِذْه من عذاب القبر»[3].

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، (٣/٢٢١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، (٢/١٦٣).

(٣) مصنف عبدالرزاق، (٣/٥٣٣ـ ح٦٦١٠).

وروى البيهقي عن عبد الله الداناج قال: شهدت أنس بن مالك، وقال له رجل: «يا أبا حمزة، إن قومًا يكذبون بعذاب القبر، قال: فلا تجالسوا أولئك»[١].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق.

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل في عذاب القبر، فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها، كلما جاء عن النبيّ ﷺ إسناد جيد أقررنا به، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه ورددناه، رددنا على الله أمره؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[٢]، قلت: وعذاب القبر حق؟ قال: حق يعذبون في القبور[٣].

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: نؤمن بعذاب القبر وبمنكرٍ ونكيرٍ، وأن العبد يسأل في قبره، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر[٤].

وقال الإمام البخاري رحمه الله: باب ما جاء في عذاب القبر، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ

---

(١) إثبات عذاب القبر، البيهقي، (١٣٥، ح٢٣٥).

(٢) الحشر: ٧.

(٣) الروح لابن القيم، (ص٧٧).

(٤) الروح لابن القيم، (ص٧٧).

تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴿٩٣﴾﴾[1]، وقوله جل ذِكْرُه: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[3][4].

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: قدم الإمام البخاري ذكر هذه الآيات لينبِّهَ على ثبوت ذكر عذاب القبر في القرآن، خلافًا لمن رده وزعَم أنه لم يَرِدْ ذكرُه إلا من أخبار الآحاد[5].

وقال الإمام مسلم رحمه الله: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله: نؤمن بعذاب القبر لمن كان له أهلًا، وسؤال منكرٍ ونكيرٍ في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران[6].

---

(١) الأنعام: ٩٣.

(٢) التوبة: ١٠١.

(٣) غافر: ٤٥، ٤٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب٨٦.

(٥) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، (٢٧٥/٣).

(٦) شرح الطحاوية، (١٥٧/٢).

وقال الإمام البيهقي رحمه الله: باب ما يكون على المنافقين من العذاب في القبر قبل العذاب في النار، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۙ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1][2].

وقال ابن حزم المجسم: قال الله تعالى في ءال فرعون: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

فهذا العرض هو عذاب القبر، وإنما قيل: عذاب القبر، فأضيف إلى القبر؛ لأن المعهود في أكثر الموتى أنهم يقبرون، وقد علمنا أن فيهم أكيل السبع، والغريق تأكله دواب البحر، والمحرق، والمصلوب، والمعلق، فلو كان على ما يقدر من يظن أنه لا عذاب إلا في القبر المعهود لما كان هؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مسألة، بل كل ميت فلا بد من فتنة وسؤال[3]، وبعد ذلك سرور أو نكد إلى يوم القيامة، فيوفون حينئذٍ أجورهم، وينقلبون إلى الجنة أو النار[4].

قال عبد الغني المقدسي: الإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم، رواه عن النبي ﷺ: علي بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن

---

(١) التوبة: ١٠١.

(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي، (ص٥٦).

(٣) مع أنَّ ظاهر الحديث أن من لم يدفن لم يسأل، لكن ذلك يُعلم من أدلة أخرى.

(٤) الفصل في الملل والنحل لابن حزم، (٤/٥٦).

مالك، وأبو هريرة، وأبو بَكْرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة زوج النبي ﷺ، وأختها أسماء، وغيرهم[1].

وقال النووي رحمه الله: مذهب أهل السنة: إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة؛ قال الله: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٦﴾[2]، وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ من رواية جماعةٍ من الصحابة في مواطن كثيرة، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزءٍ من الجسد ويعذبه، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به، وجب قبوله واعتقاده[3].

وقال أيضًا: المعذب عند أهل السنة: الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه، أو إلى جزءٍ منه[4].

وقال محمد بن حيان رحمه الله: الأحاديث الصحيحة قد استفاضت بعذاب القبر؛ فوجب القول به واعتقاده[5].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، عبدالغني المقدسي، (ص١٧٢ ـ ١٧٤).

(٢) غافر: ٤٥، ٤٦.

(٣) مسلم بشرح النووي، (٢٢٣/٩).

(٤) مسلم بشرح النووي، (٢٢٤/٩).

(٥) التفسير المحيط، (٢١١/١).

وقال القرطبي رحمه الله: الإيمان بعذاب القبر وفتنته[١]: واجب، والتصديق به لازم، حسَب ما أخبر به الصادق ﷺ، وأن الله تعالى يُحيي العبد المكلَّف في قبره، برد الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار ﷺ ءاناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أهل الملة، ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم ﷺ غير ما ذكرنا، وكذلك التابعون بعدهم[٢].

وقال المجسم ابن تيمية: أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكرٍ ونكيرٍ كثيرة متواترة عن النبي ﷺ[٣].

وسئل ابن تيمية المجسم عن «عذاب القبر»: هل هو على النفس والبدن أو على النفس دون البدن؟

فأجاب: العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة[٤].

وقال ابن القيم المجسم: إن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبِر أو لم يُقبَر، فلو أكلته السباع

(١) أي الاختبار فيه بسؤال الملكين.

(٢) التذكرة للقرطبي، (ص١٠٦).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٤/٢٨٥).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٤/٢٨٢).

أو أحرق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر، وصل إلى رُوحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور[1].

وقال ابن أبي العز الحنفي المجسم: قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته[2]؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عَوْدَ الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، وسؤال الملكين في القبر يكون للروح والبدن جميعًا، وكذلك عذاب القبر يكون للروح والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم الروح وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به[3].

قال حافظ الحكمي: نصوص السنة في إثبات عذاب القبر قد بلغت في ذلك مبلغ التواتر؛ إذ رواها أئمة السنة وحَمَلة الحديث ونقَّاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: أنس بن مالكٍ، وعبد الله بن عباسٍ، والبراء بن عازبٍ، وعمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وعائشة أم المؤمنين، وأسماء بنت أبي بكرٍ، وأبو أيوب الأنصاري، وأم خالدٍ، وأبو هريرة، وأبو سعيدٍ الخدري، وسمرة بن جندبٍ، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابتٍ، وجابر

(١) الروح لابن القيم، (ص٧٨).

(٢) أي إلا فيما ورد.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، (٢/١٦٣).

بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاصٍ، وزيد بن أرقم، وأبو بكرة، وعبدالرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبوه عمرو، وأم مبشرٍ، وأبو قتادة، وعبد الله بن مسعودٍ، وأبو طلحة، وأسماء بنت أبي بكر الصديق، وعبد الرحمن بن حسنة، وتميم الداري، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، والنعمان بن بشيرٍ، وعوف بن مالكٍ[1].

وقال الألباني المجسم: عذاب القبر ثابت كتابًا وسنةً، وبإجماع أهل السنة والجماعة والسلف الصالح[2]. وقال الألباني أيضًا بعد أن ذكر عدة أحاديث عن عذاب القبر ونعيمه: في هذه الأحاديث فوائد كثيرة، منها:

إثبات عذاب القبر، والأحاديث في ذلك متواترة، فلا مجال للشك فيه بزعم أنها آحاد! ولو سلمنا أنها آحاد، فيجب الأخذ بها؛ لأن القرآن يشهد لها؛ قال تعالى ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3]، ولو سلمنا أنه لا يوجد في القرءان ما يشهد لها، فهي وحدها كافية لإثبات هذه العقيدة، والزعم بأن العقيدة لا تثبت بما صح من أحاديث الآحاد زعمٌ باطل، دخيل في الإسلام، لم يقل به أحد من الأئمة الأعلام؛ كالأربعة وغيرهم، بل هو مما جاء به بعض علماء الكلام، بدون برهانٍ من الله ولا سلطان[4].

---

(١) معارج القبول، حافظ حكمي، (١١٧/٢).

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني، (٨٨٤/٧).

(٣) غافر: ٤٥، ٤٦.

(٤)السلسلة الصحيحة للألباني، (٢٩٤/١، ٢٩٥).

وقال الألباني مجسم أيضًا: إن سؤال الملكين في القبر حق ثابت، فيجب اعتقاده أيضًا، والأحاديث فيه أيضًا متواترة[1].

شُبُهَاتُ مَنْ يُنْكِرُونَ عَذَابَ القَبْرِ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا

الشبهة الأولى: يقول المنكرون لعذاب القبر وسؤال الملكين: قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١﴾[2]، قالوا: فلو كان يحيا في قبره للزم أن يحيا ثلاث مراتٍ ويموت ثلاثًا، وهو خلاف النص.

الشبهة الثانية: يقول المنكرون لعذاب القبر: يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾[3]. فقالوا: إن الغرض من هذه الآية تشبيهُ الكفرة بأهل القبور في عدم الإسماع، ولو كان الميت حيًّا في قبره أو حاسًّا لم يستقِمِ التشبيه.

الشبهة الثالثة: يقول المنكرون لعذاب القبر: نحن نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عُمْيًا صمًّا يضربون الموتى بمطارق من حديد، ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانًا تأجج، ولو كشفنا على الميت في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير، ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله، وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه، ونحن نجده بحاله، ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص، وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني، (١/٢٩٧).

(٢) غافر: ١١.

(٣) فاطر: ٢٢.

وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه، وقالوا: كل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطئة قائله، وقالوا: نحن نرى المصلوب على خشبةٍ مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارًا، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح، كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها؟ وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه، وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؟ وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه[1]؟!

الرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الأُولَى: يراد بالحياة في القبر للمسألة ليست الحياة المستقرة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه وتحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء، بل هي إعادةٌ لفائدة الامتحان الذي وردت به الأحاديث الصحيحة؛ فهي إعادة عارضة، كما أُحيي خَلْق لكثيرٍ من الأنبياء لمسألتهم لهم عن أشياء ثم عادوا موتى[2].

الرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الثَّانِيَةِ :الرد من وجهين:

الأول: أن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [3] نفي لاستطاعة الرسول ﷺ أن يُسمِعَهم، وليس ذلك بمحالٍ في قدرة الله أن يسمعهم، كما أسمع

---

(١) الروح لابن القيم، (ص٨٣).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٣/٢٨٤).

(٣) فاطر: ٢٢.

أهل القليب[1] يوم غزوة بدر الكبرى تبكيته ﷺ بقوله ﷺ: «**هل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا**»، وهذا إذا حمل على نفي مطلق السماع بالكلية.

الوجه الثاني: أنه لم ينفِ مطلق السماع، وإنما نفى سماع الاستجابة، كما يدل عليه قوله ﷺ في حديث القليب: «**ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكنهم لا يجيبون**»، وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم؛ فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ، ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم، ولكن ليس ذلك بسماع استجابةٍ؛ ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾[2]، ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقًا لا سماع استجابةٍ ولا مطلقًا لم يكن القرآن حجةً عليه، ولم يكن الرسول ﷺ بلَّغهم؛ لأنهم ما سمعوه منه[3].

الرَّدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الثَّالِثَةِ: إن الروح التي عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدركٍ في الدنيا، ولا يعلمه إلا الله، فمن كان لا يدرك روح من يمشي معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله، فكيف يدركه إذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا؟ وأيضًا فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة، ورحمته بهم، وقد قال النبي ﷺ: «**لولا ألا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع**»، وأيضًا فأكثر أمور

---

(١) البئر.

(٢) الجاثية: ٨.

(٣) معارج القبول، حافظ حكمي، (٢/١١٣). الروح لابن القيم، (ص٦٢، ٦٣).

الإيمان اعتقادات باطنة لأمورٍ غائبةٍ عنا، وهي أعلى صفات أهل الإيمان الأتقياء؛ يقول الله تعالى في صفة عباده المتقين: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[1]، أي: يؤمنون بكل ما غاب عنهم مما أخبرتهم به رسل الله تعالى، وعذاب القبر غائبٌ عنا في الحياة الدنيا حِسًّا، ونحن نعلمه عن الله علم اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادةً، ورأينا ذلك عين اليقين، والذي أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الله الذي خلقه من لا أجزاء ولا أعضاء[2].

مَنْ هُمُ الـمُنْكِرُونَ لِعَذَابِ القَبْرِ

المنكرون لعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين هم: الخوارج، والجهمية، ومعظم المعتزلة، والفلاسفة[3].

حُكْمُ إِنْكَارِ عَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: عذاب القبر حق، لا يُنكِرُه إلا ضالٌّ مضلٌّ[4].

---

(١) البقرة: ٢، ٣.

(٢) معارج القبول، حافظ حكمي، (٢/١٢٠- ١١٤).

(٣) مسلم بشرح النووي، (٩/٢٢٤).

(٤) الروح لابن القيم، (ص٧٧).

وقال ابن تيمية المجسم: من جحد شيئًا من الشرائع الظاهرة، وكان حديث العهد بالإسلام أو ناشئًا ببلد جهلٍ، لا يكفر حتى تبلغه الحجة النبوية، وكذلك العكس، إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمامٍ قديمٍ فاغتفرت؛ لعدم بلوغ الحجة له - فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول؛ فلهذا يبدَّع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك[1].

دار الإفتاء المصرية:

السؤال: ينكر بعض الناس أن هناك نعيمًا وعذابًا في القبر، فما هو رأى الدين في ذلك؟

الجواب: قال الشيخ عطية صقر - رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر - رحمه الله: شهر مايو عام: ١٩٩٧م: نعيم القبر وعذابه ثابتان بأدلة كثيرة، منها (ذكر - رحمه الله - سبعة أدلة، سوف نذكر بعضها):

(١) روى الشيخان عن البراء بن عازبٍ، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[2] **نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيِّي محمد ﷺ، فذلك قوله عز وجل:** ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[3]».

(٢) روى مسلم عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا ألا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب**

---

(١) **مجموع** فتاوى ابن تيمية، (٦/٦١).

(٢) **إبراهيم**: ٢٧.

(٣) **إبراهيم**: ٢٧. **صحيح البخاري**، (ح١٣٦٩). **صحيح مسلم**، (ح٢٨٧١).

القبر الذي أسمع منه»، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوَّذوا بالله من عذاب النار»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر(١).

(٣) روى الشيخان عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليُعذَّبان، وما يعذبان في كبيرٍ، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»(٢).

(٤) قال سبحانه: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾(٣)، فالعرض يكون في القبر قبل يوم القيامة.

هذه بعض الأدلة القوية على ثبوت النعيم والعذاب في القبر، فذلك ثابت بالسنةِ وظاهرِ الآية، وأهل السنة مجمعون عليه، والإجماع حجة عند أكثر الأصوليين، وأنكره جماعة من المعتزلة، ومهما يكن من شيء فإن العقائد لا تثبت إلا بالنص القطعي في ثبوته ودلالته، والحديث الصحيح الذي دل على نعيم القبر وعذابه اعتبره بعض العلماء من قطعي الثبوت الذي يفيد العلم اليقيني،

---

(١) صحيح مسلم، (ح٢٨٦٧).

(٢) صحيح البخاري، (ح٢١٨). صحيح مسلم، (ح٢٩٢).

(٣) غافر: ٤٥، ٤٦.

واعتبره آخرون ظني الثبوت الذي لا يفيد العلم اليقيني، ومن هنا كان الخلاف في الحكم على من أنكر نعيم القبر وعذابه، هل هو كافر أو غير كافر[1].

والخلاصة أنَّ من عرف أنَّ القرءان أو الحديث أو الإجماع على إثبات عذاب القبر ونعيمه ثمَّ أنكر يكفر لتكذيبه الدين، ومن لم تبلغه ءاية في ذلك ولا حديث نبوي لكن عرف أنّ إثبات عذاب القبر من دين الإسلام ولو لم يطّلع على سند الحديث أو كان من الأحاديث الصحيحة الثابتة التي هي من الأحاديث المشهورة أو أنها من أحاديث الآحاد وأنَّ الأمة على العمل بها سواءٌ اطّلع على ذلك أو لم يطّلع فبمجرّد إنكاره لعذاب القبر أو لنعيمه وهو يعرف أنَّ هذا ثابتٌ في الإسلام يكفَّر ولا يُنظر إلى ما تقدَّم.

أما من لم يبلغه لا من القرءان ولا من الحديث ولا من الإجماع ولا أنَّ هذا من دين الإسلام فأنكر فإنه لا يكفَّر بل يعلَّم وعليه معصية من الكبائر لأنه أفتى بغير علمٍ.

(٤) اللجنة الدائمة بالسعودية:

السؤال الأول من الفتوى رقم ٩٣٧٧:

س: ما حكم من ينكر عذاب القبر بحجة أن الأحاديث الواردة في عذاب القبر هي أحاديث آحاد، وحديث الآحاد لا يؤخذ به مطلقًا، وهم لا

---

(١) فتاوى دار الإفتاء المصرية، (٨/٢٨٦). الفتاوى، الشيخ عطية صقر، المكتبة التوفيقية، (١/٣٧٢-٣٧٣). رقم٢٣٤.

ينظرون إلى الحديث صحيح أو حسن أو ضعيف، ولكن ينظرون إليه من جهة كونه آحادًا، أو مرويًا بطرق مختلفة، فإذا وجدوه حديث آحاد لم يأخذوا به، فما هو الرد عليهم؟

ج: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد:

إذا ثبت حديث الآحاد عن الرسول ﷺ كان حجةً فيما دل عليه، اعتقادًا وعملًا، لإجماع أهل السنة، ومن أنكر الاحتجاج بأحاديث الآحاد بعد إقامة الحجة عليه، فهو كافر، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (الوهابية)

عضو نائب الرئيس

عبد الله بن غديان عبد الرزاق عفيفي عبد العزيز بن باز

فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية (١٩/٥، ٢٠)

أَسْبَابُ عَذَابِ القَبْرِ

إن عذاب القبر أثر غضب الله تعالى وسخطه على عبده، فمن أغضب الله وأسخَطه في هذه الدار ثم لم يتُبْ، ومات على ذلك كان له من عذاب القبر بقدر غضب الله وسخطه عليه، وعذاب القبر هو نتيجة لمعاصي القلب، والعين، والأذن، والفم، واللسان، والبطن، والفرج، واليد، والرِّجل، والبدن كله؛ فالنمام، والكذاب، والمغتاب، وشاهد الزور، وقاذف المحصن، والداعي إلى البدعة، والقائل على الله تعالى ورسوله ﷺ ما لا علم له به، وءاكل الربا، وءاكل

أموال اليتامى، وءاكل السحت من الرشوة، وءاكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب الخمر، والزاني، واللواطي، والسارق، والخائن، والغادر، والمخادع، والماكر، وءاخذ الربا، ومعطيه، وكاتبه، وشاهداه، والمحتال على إسقاط فرائض الله تعالى، وارتكاب محارمه، ومؤذي المسلمين، ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتي بغير ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التي حرم الله، والمُعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه على سنة الرسول ﷺ، والنائحة، والمستمع إليها[1]، والمطففون في الكيل والميزان، والجبارون، والمتكبرون، والمراؤون، والهمازون، واللمازون، والطاعنون على السلف الصالح[2]، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرَّافين فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا ءاخرتهم بدنيا غيرهم، والذي إذا خوفته بالله تعالى وذكَّرته به لم ينزجر، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وكفَّ عما هو فيه، والذي يجاهر بالمعصية ويفتخر بها بين الناس، والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذيء الذي تركه الناس اتقاء شره، والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها[3]، ولا يذكر الله فيها إلا قليلًا[4]، ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على

---

(١) أي المشجِّع لها والمساعد لها، فبذلك يكون مساعدًا على الكبيرة.

(٢) أي الطاعنون في عقيدة وأحكام أهل السنة والجماعة، الصحابة ومن تبعهم.

(٣) هذا فيمن يُضيِّعُ بعض أركانها بحيث لا تصحُّ صلاته ولا على قول مجتهدٍ معتبر.

(٤) أي يصليها في ءاخر الوقتِ بحيث يدخل الوقت الآخر وهو لم ينته منها بعد، فمن تعمَّد ذلك فهو من أهل الكبائر.

الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، والذي لا يبالي بما حصل من المال، من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين، ولا الأرملة، ولا اليتيم، ولا الحيوان البهيم، بل يزجر اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي الناس بعمله؛ ليكسب مدحهم له، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه - فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم، بحسب كثرتها وقلتها، وصغيرها وكبيرها[1].

النميمة والبول: عن ابن عباس قال: مر النبيّ ﷺ على قبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير قال بلى. أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يتتر من بوله**» ثم أخذ عودا فكسره اثنين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «**لعله يخفف عنهما العذاب ما لم ييبسا**»[2]، وفي رواية: «**لا يستتر من البول**»، وفي رواية «**لا يستبرئ من البول**».

---

(١) الروح لابن القيم، (ص١٠١ ـ ١٠٣).

(٢) أخرجه الطيالسي، (ح٢٦٤٦). وابن أبي شيبة، (٣/٣٧٥-٣٧٦). وأحمد، (١/٢٢٥). والدارمي، (١/ح١٨٨-١٨٩). والبخاري، (ح٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥). مسلم، (ح٢٩٢). أبو داود، (ح٢٠، ٢١). والترمذي، (ح٧٠). والنسائي، ٠(١، ح٢٨-٣٠). وابن ماجه، (ح٣٤٧). وابن حبان، (ح٣١٢٨، ٣١٢٩). والآجري، (ص٣٦١-٣٦٢). والبيهقي في **السنن**، (١/ ح١٠٤، و٢/٤١٢). وفي عذاب القبر، (ح١١٧-١١٨-١١٩). وابن منده في **الإيمان**، (ح١٠٧١). ووكيع في **الزهد**، (ح٤٤٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «**إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه**»[1].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: حدثنا أبو بكرة قال: بينا النبيّ ﷺ بيني وبين رجل ءاخر إذ أتى على قبرين فقال: «**إن صاحبي هذين القبرين يعذبان فإتيناي بجريدة**». قال أبو بكرة: فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته فأتيته بجريدة فشقها بنصفين فوضع في هذا القبر واحدة وفي ذا واحدة وقال: «**لعله يخفف عنهما ما دامتا رطبتين أما إنهما ليعذبان بلا كبير الغيبة والبول**»[2].

---

(١) أخرجه البزار في **كشف الأستار**، (ح٣٤٣). والدار قطني، (١/١٢٨)، وقال: لا بأس به، وقال الحافظ في **تلخيص الحبير**، (١/ح١٠٦): رواه عبد بن حميد في **مسنده**، والحاكم والطبراني وغيرهم بإسناد حسن. وقال الحافظ في **الفتح**، (١/ح٣٨٤): إن رواية أبي بكرة عند أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البيهقي في **عذاب القبر**، (ح١٢٥)، ورجاله ثقات غير بحر بن مرار فقال القطان والنسائي: قد تغير. وقال ابن عدي: لا أعرف له حديثًا منكرًا. ووثقه ابن معين، وقال النسائي: ليس به بأس. وللحديث شواهد بغير لفظ «الغيبة». وأخرجه أحمد، (٥/ح٣٩). وابن أبي شيبة، (١/ح١٢٢). وابن ماجه، (ح٣٤٩). من طريق وكيع عن الأسود بن شيبان عن بحر بن مرار عن جده أبي بكرة وهذا إسناد فيه انقطاع.

قال المزي في **تحفة الأشراف**، (٩/ح٣٨)، رواه أبو سعيد مولى بني هاشم ومسلم بن إبراهيم عن الأسود بن شيبان عن بحر بن مرار عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبي بكرة. وزاد البوصيري في **مصباح الزجاجة** ورقة ٢٧ من قول المزي وهو الصواب. وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده والطبراني في الأوسط وسقط عبد الرحمن من رواية ابن ماجه. وذكره الهيثمي في **مجمع الزوائد**، (١/ح٢٠٧-٢٠٨)، رواه الطبراني في **الأوسط**، وأحمد ورجاله موثقون، والطيالسي (ح٨٦٧).

وفي رواية له: بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ وهو ءاخذ بيدي ورجل عن يساره فإذا بقبرين أمامنا فقال رسول الله ﷺ: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وبلى فأيكم يأتيني بجريدة»** فاستبقنا فسبقته فأتيته بجريدة فكسرها نصفين فألقى على ذا القبر قطعة وعلى ذا القبر قطعة وقال: **«إنه يهون عليهما ما كانتا رطبتين وما يعذبان إلا في الغيبة والبول»**[1].

وعن عبد الرحمن بن حسنة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كهيئة الدَّرَقة[2] فوضعها ثم بال إليها، فقال بعض القوم: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة[3]. فسمعه النبي ﷺ فقال: **«ويحك ما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم شيء من البول قرضوا بالمقاريض فنهاهم فعُذب في**

---

(١) قال المنذري في الترغيب والترهيب، (٣/ح٢٠٨)، رواه أحمد بإسناد رواته ثقات.

(٢) الدرقة هي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عصب، وهو القُضْبُ الذي تعمل منه الأوتار.

(٣) قال العيني: لاستتاره عليه السلام. وهذا القول منهم من غير قصد، أو وقع بطريق التعجُّب أو بطريق الاستفسار عن هذا الفعل، ولم يقولوا هذا القول بطريق الاستهزاء والاستخفاف.

قبره»[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**أكثر عذاب القبر من البول**»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ فمررنا على قبرين فقام فقمنا معه فجعل لونه يتغير حتى رعدكم قميصه فقلنا: مالك يا نبي الله؟ قال: «**ما تسمعون ما أسمع**»؟ قلنا: وما ذاك يا نبيّ الله؟ قال: «**هذان رجلان يعذبان في قبورهما عذابًا شديدًا في ذنب هين**». قلنا: مم ذاك يا نبيّ الله؟ قال: «**كان أحدهما لا يستنزه من البول وكان الآخر يؤذي الناس بلسانه ويمشي بينهم بالنميمة**». فدعا بجريدتين من جرائد النخل فجعل في كل قبر

---

(١) أخرجه أحمد، (٤/ح١٩٦). وابن أبي شيبة، (١/ح١٢٢ و٣/ح٣٧٥-٣٧٦). والحميدي، (ح٨٨٢). والنسائي، (١/ح٢٦-٢٨). وابن ماجه، (ح٣٤٦). وأبو داود، (ح٢٢). والحاكم، (١/ح١٨٤). والفسوي، في المعرفة والتاريخ، (١/ح٢٨٤). والبيهقي في السنن، (١/ح١٠٤). وفي عذاب القبر، (ح١٣٠). وأبو يعلى، (ح٩٣٢). وابن حبان، (ح٣١٢٧)، من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٢) أخرجه الآجري، (ص٣٦٢-٣٦٣)، وإسناده صحيح. وابن ماجه، (ح٣٤٨). والبوصيري في مصباح الزجاجة، (ص٢٧)، وقال: هذا إسناد صحيح رجاله عن ءاخرهم محتج بهم في الصحيحين. والحاكم، (١/ح١٨٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ووافقه الذهبي. وأحمد، (٢/ح٣٢٦). والبيهقي، (٢/ح٤١٢). والدارقطني، (١/ح١٢٨)، وقال صحيح.

واحدة. قلنا: وهل ينفعهما ذلك يا رسول الله؟ قال: «**نعم يخفف عنهما ما داما رطبتين**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «**بينما رجل إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا حين رأيتموني أتأخر ورأيت عمرو بن لحي يجر قصَبَهُ في**

---

(١) أخرجه ابن حبان في **الإحسان**، (ح٨٢٤). وقال: إسناده صحيح. والبيهقي في **عذاب القبر** (٨٧/ح١٢٣). ولفظه «رجل كان لا يتقي من البول وامرأة كانت تمشي بين الناس بالنميمة فانتظر بهما العذاب إلى يوم القيامة». من طريق محمد بن عبيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة. وهذا سند جيد. وأخرج ابن أبي شيبة، (٣/ح٣٧٦). وأحمد، (٢/ح٤٤١). وفي الباب عن ابن عباس وقد مر تخريجه، وعن أنس عند أحمد والطبراني والبيهقي وغيره.

وأورده المنذري في **الترغيب والترهيب**، (٣/ح٢٠٧)، عن جابر وأبي سعيد الخدري قالا: قال رسول الله ﷺ: «**الغيبة أشد من الزنا**» قيل: وكيف؟ قال: «**الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الغيبة والطبراني في **الأوسط** والبيهقي وغيره. وفي رواية عن أبي هريرة قال: مر رسول الله ﷺ على قبرين فقال: «**ائتوني بجريدتين**» فجعل إحداهما عند رأسه والأخرى عند رجليه فقيل: يا نبي الله أينفعه ذلك؟ قال: «**لن يزال أن يخفف عنه بعض عذاب بالقبر ما كان فيهما ندر**». أخرجه أحمد، (٢/ح٤٤١)، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاريّ، (ح٥٧٩٠).

النار وهو أول من سيّب السوائب»[1]. وفي رواية أبي هريرة: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبهُ في النار كان أول من سيب السائبة»[2].

وفي رواية جابر «ورأيت فيها أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبة في النار»[3]. وفي رواية له «حتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قَصَبَهُ في النار يسرق الحاج بمحجنه فإذا فطن له قال: إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به. حتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعًا»[4].

وعن أبي هريرة فيمن أخذ من الغنيمة قبل القسمة الشرعية أن النبيّ ﷺ قال: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا»[5].

---

(١) أخرجه البخاري، (ح٤٦٢٤). ومسلم، (ح٩٠١). والبيهقي في عذاب القبر، (ص٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، (ح٤٦٢٤). ومسلم، (ح٢٨٥٦). والبيهقي في عذاب القبر، (ص٨٢).

(٣) أخرجه مسلم، (ح٩٠٤). والبيهقي في السنن، (٣/ح٣٢٤)، وفي عذاب القبر، (ص٨٤).

(٤) أخرجه مسلم، (ح٩٠٤). والبيهقي في السنن، (٣/ح٣٢٦)، وفي عذاب القبر، (ص٨٥).

(٥) أخرجه البخاري، (ح٤٢٣٤)، ومسلم، (ح١١٥، ١٨٣). وأبو داود، (٢/ح٦٢). والبيهقي في عذاب القبر، (ح١٣٣). وفي الباب عن أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر ذهب إلى بني عبد الأشهل فيتحدث عندهم حتى ينحدر إلى المغرب، وذكر الحديث وفيه: قال النبيّ ﷺ: «ولكن هذا فلان بن فلان بعثته ساعيا على بني فلان فغل نمرة فدرّ الآن مثلها من نار». رواه النسائي، (٢/ح٨٩). وابن خزيمة في صحيحه، ج٤، ح٥٢. وأحمد، (٦/ح٣٩٢). والبيهقي، في عذاب القبر، (ح١٣٤).

وعن سمرة بن حبيب قال: صلى رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «ههنا أحد من بني فلان»؟ فإذا قلنا: لا يجيب أحد. ثم قال: «إن الرجل الذي مات منكم قد احتبس عن الجنة من أجل الدين الذي عليه فإن شئتم فافدوه وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله(١)»(٢).

---

(١) وهذا فيمن كان يقترضُ أموالَ النّاسِ لغير حاجةٍ وهو يعرف من نفسه أنه لا يقدر على الردِّ، ولم يُعلم دائنه بعجزه عن الردِّ، وكان اقتراضه لأمور الدنيا، فهذا لا يجوز لأنه لو علم الدائن بذلك لا يرضى ولا يقرضه. فإنّ الذي ليس بحالة الاضطرار وكان لا يرجو وفاء للدين الذي يستدينه من جهة ظاهرة فإنّه لا يجوز عليه الاستدانة إذا لم يعلم دائنه بذلك أي لم يعلم بحاله أنه لا يرجو لهذا الدين وفاء من جهة ظاهرة أي ليس عنده ملكٌ ولا مهنةٌ يستغلها لرد الدين، فإن كان يرجو له وفاء من جهة ظاهرة فلا حرج عليه، وكذلك إن كان دائنه يعلم بحاله ومع ذلك أقرضه فلا حرج عليه. فمن استدان لسبب مباح وهو يرجو الوفاء من جهة ظاهرة واستمر به العجز إلى الموت فلا عقوبة عليه في الآخرة لأنّ هذه ليست مَظْلَمة.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، (٢/ح٢٥)، وقال صحيح على شرط الشيخين. ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ، (٣/ح١٢٧). ومسلم، (ح١٨٨٦). والبيهقي في عذاب القبر، (ح١٣٧). والسبب في ذلك أن الدين من حقوق الناس، وحقوق الناس لا تكفرها التوبة فقط، ولا الأعمال الصالحة كالحج والجهاد، ولا بد من رد الحقوق إلى أصحابها، أو أن يعفو صاحب الحق ويسامح بحقه وهكذا.

التَّعَوُّذُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ

عن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر[1].

وعن أبي هريرة قال: ما صلى نبي الله ﷺ أربعًا أو اثنتين إلا سمعته يدعو **«اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب النار ومن عذاب القبر ومن فتنة الصدر وسوء المحيا والممات»**[2]. وعن أبي هريرة أيضا عن رسول الله ﷺ قال: **«إذا تشهد**

---

(١) أخرجه البخاري، (ح١٣٧٦، ٦٣٦٤). وابن أبي عاصم، (ح٨٧٦). والحميدي، (ح٣٣٦). وأحمد، (٦/ح٣٦٤، ٣٦٥). وابن حبان في **الإحسان**، (ح١٠٠١)، وإسناده على شرط مسلم. وعبد الرزاق، (ح٦٧٤٣). وابن أبي شيبة، (١٠/ح١٩٣). والنسائي، في **النعوت** من **الكبرى** كما في **التحفة**، (١١/ح٢٦٩).

وأم خالد هي بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية من عبد شمس بن عبد مناف القرشية الأموية، وهي مشهورة بكنيتها واسمها «أمة»، لها ولأبويها صحبة وكانا ممن هاجر إلى الحبشة وقدما بها وهي صغيرة وقصتها عند البخاري، ٥٩٩٣، من طريق عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن أبيه عن أم خالد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي، وذكرت القصة.

(٢) أخرجه ابن حبان في **الإحسان**، (ح١٠٠٢)، ورجاله ثقات رجال الصحيح. وفي رواية له «أنه كان يتعوذ من شر المحيا والممات وعذاب القبر وشر فتنة المسيح الدجال». وأخرجه أيضا ابن حبان، (ح١٠١٨)، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. وأخرجه البخاري في **الأدب المفرد**، (ح٦٥٧). وأخرجه أحمد، (٢/ح٤٦٩، ٤٨٢). وفي رواية له «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر فتنة المحيا والممات». أخرجه أيضا ابن حبان، (ح١٠١٩)، وإسناده صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه الطيالسي، (١/ح٢٥٨). وأحمد، (٢/ح٥٢٢). وأخرجه البخاري، (ح١٣٧٧). ومسلم، (ح٥٨٨، ١٣١). وأخرجه عبد الرزاق، (ح٦٧٥٥). والنسائي،

فليستعذ بالله من أربع يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال»[1].

عن مصعب بن أبي وقاص عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلّمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر**»[2].

وفي رواية: كان يستعيذ من عذاب القبر ومن فتنة الدجال. وقال: «**إنكم تفتنون في قبوركم**»[3]. وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ رب جبريل وميكائيل ورب إسرافيل أعوذ بك من حر النار ومن عذاب القبر**»[4]. وفي

(٨/ح٢٧٨). وأبو عوانة، (٢/ح٢٣٥، ٢٣٦)، من طرق عن يحي بن أبي كثير. وصححه ابن خزيمة برقم٧٢١. وأخرجه ابن أبي شيبة، (١٠/ح١٩٠). والبخاري في **الأدب المفرد**، (ح٦٤٨).

(١) أخرجه البخاري، (ح١٣٧٧). ومسلم، (ح٥٨٨). وأبو داود، (ح٩٨٣). والنسائي، (٣/ح٥٨). والترمذي، (ح٣٦٠٤)، بنحوه. وابن أبي عاصم، (ح٨٦٩، ٨٧٢). والطيالسي، (ح٢٣٤٩، ٢٥٧٨). وأحمد، (٢/ح٤٥٤، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٧، ٥٢٢). وعبد الله بن أحمد في **السنة**، (ح١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢). وفي الباب عن ابن عباس عند أبي داود، (ح٩٨٤).

(٢) أخرجه ابن حبان في **الإحسان**، (ح١٠٠٤)، وقال إسناده صحيح. وأخرجه ابن أبي شيبة، (١٠/ح١٨٨، ١٨٩). والبخاري، (ح٢٨٢٢، ٦٣٦٥، ٦٣٧٠، ٦٣٧٤، ٦٣٩٠). وأحمد، (١/ح١٨٣، ١٨٦). والنسائي، (٨/ ٢٦، ٢٥٦، ٢٦٦، ٢٧١)، وفي **الاستعاذة** وفي **عمل اليوم والليلة**، (ح١٣١، ١٣٢). وأخرجه الترمذي، (ح٣٥٦٧)، في **الدعوات**، باب دعاء النبي ﷺ وتعوذه دبر كل صلاة. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه.

(٣) أخرجه النسائي، (٤/ح١٠٥ و٨/ ح٢٧٤، ٢٧٥).

(٤) أخرجه النسائي، (٨/ح٢٧٨). وأحمد، (٦/ح٦١).

رواية: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة المسيح الدجال وشر فتنة الفقر وشر فتنة الغنى اللَّهُمَّ اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد وأنق قلبي من الخطايا كما أنقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللَّهُمَّ اني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم»(١).

وعن مسلم بن بكرة قال: كان أبي يقول في دبر الصلاة: اللَّهُمَّ أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر. فكنت أقولهن، فقال: أي بنيّ عمن أخذت هذا؟ قلت: عنك. قال: إن رسول الله ﷺ كان يقولهن دبر كل صلاة(٢).

وفي رواية عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبتي إني أسمعك تدعو كل غداة «اللَّهُمَّ عافني في بدني، اللَّهُمَّ عافني في سمعي، اللَّهُمَّ عافني في بصري، لا إله إلا أنت» تعيدها ثلاثًا حيت نصبح وثلاثًا حين تمسي، وتقول: «الله إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت». تعيدها ثلاثًا حين تصبح وثلاثًا حين تمسي. قال: نعم يا بني إني

---

(١) أخرجه النسائي، (٨/ح٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦). وأحمد، (٦/ح٥٧، ٢٠٧). وعبد الله بن أحمد في السنة، (ح١٣٣٨).

(٢) أخرجه بطوله ومختصرا أحمد، (٥/ح٣٩، ٤٤). والترمذي، (ح٣٥٠٣). والنسائي، (٣/ح٧٣، ٧٤). وابن أبي عاصم، (ح٨٧٠). وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن فأحب أن أستنَّ بسنته[1]. وفي رواية أن رسول الله ﷺ كان يقول: **«اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر»**[2].

وعن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم وعذاب القبر، اللّٰهُمَّ ءاتِ نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللّٰهُمَّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها[3].

وعن ابن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللّٰهُمَّ أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية. قال: فقال النبي ﷺ: **«قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل»**[4].

---

(١) أخرجه أحمد، (٥/ح٤٢). وأبو داود، (ح٥٠٩٠)، وإسناده حسن.

(٢) أخرجه ابن حبان في **الإحسان**، (ح١٠٢٨)، وإسناده قوي. وأخرجه ابن أبي شيبة، (١٠/ح١٩٠). وأحمد، (٥/ح٣٦، ٣٩، ٤٤). والنسائي، (٣/ح٧٣، ٧٤، و٨/ح٢٦٢). والترمذي، (ح٣٥٠٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد، (٥/ح٤٢). والبخاري في **الأدب المفرد**، (ح٧٠١)، بسند حسن، وصححه الحاكم، (١/ح٥٣٣)، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم، (ح١٧٢٢). والترمذي، (ح٣٥٧٢). والنسائي، (٨/ح٢٦٠).

(٤) أخرجه مسلم، (ح٢٦٦٣). والحاكم، (٢/ح٣٨١، ٣٨٢). والبيهقي في عذاب القبر، (ح١٨٧).

وعن ابن مسعود أيضًا، كان رسول الله ﷺ يقول إذا أمسى: «**أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ربّ أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها ربّ أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ربّ أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر**». وإذا أصبح قال ذلك أيضا «**أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد لله**»[1].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم وأعوذ بك من شر المسيح الدجال وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار**»[2].

وعن عوف بن مالك قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار**». قال: حتى تمنيت أن أكون أنا ذاك الميت[3].

---

(١) أخرجه مسلم، (ح٢٧٢٣). والترمذي، (ح٣٣٩٠). وأبو داود، (ح٥٠٧١). والنسائي، (٨/ح٢٥٦).

(٢) أخرجه النسائي، (٨/ح١٦٩). وإسناده حسن.

(٣) أخرجه مسلم، (ح٩٦٣). وابن حبان على شرط مسلم، (ح٣٠٧٥). والبيهقي، (٤/ح٤٠). وابن الجارود، (ح٥٣٨). والبغوي، (ح١٤٩٥). وأحمد، (٦/ح٢٣). والنسائي، (٤/ح٧٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان النبيّ ﷺ يتعوذ من خمس، من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر[1].

وعن واثلة بن الأسقع قال: صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول: «**اللَّهُمَّ إن فلانا ابن فلان في ذمتك[2] وحبل جوارك فَقِهِ من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء[3] والحق فاغفر له وارحمه إنك الغفور الرحيم**»[4].

والطبراني من طرق، (١٨/ح٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ١٠٨). والطيالسي، (ح٩٩٩). وابن ماجه، (ح١٥٠٠).

(١) أخرجه أبو داود، (ح١٥٣٩). والنسائي، (٨/ح٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧). من طريق إسرائيل ويونس عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر وإسناده صحيح.

وفي الباب عند النسائي، (٨/ح٢٥٦)، من طريق زكريا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود. وعنده أيضا من طريق زهير عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال حدثني أصحاب محمد ﷺ، فذكر مثله.

وأخرجه ابن حبان في **الإحسان**، (ح١٠٢٤). وإسناده صحيح. وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، ج١٠، ح١٨٩ عن شبابة بهذا الإسناد. وأخرجه النسائي، (٨/ح٢٧٢). وفي **عمل اليوم والليلة**، (ح١٣٤). وأحمد، (١/ح٢٢، ٥٤). وابن ماجه، (ح٣٨٤٤). والبخاري في **الأدب المفرد**، (ح٦٧٠). والحاكم، (١/ح٥٣٠). وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وقوله «فتنة الصدر» قال وكيع: يعني الرجل يموت على فتنة لا يستغفر الله منها.

(٢) قال السندي: أي في أمانتك وعهدك وحفظك.

(٣) أي لا تخلف الميعاد.

(٤) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخرًا لي عنده يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾(١)، كما أسأله سبحانه أن ينفع به طلاب العلم.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) الشعراء: ٨٨، ٨٩.

قَصِيدَةُ: «أَمَا سَمِعْتَ بِأَهْلِ النَّارِ»

أما سمعت بأهل النار في النار ... وعن مقاساة ما يَلقُون في النار
أما سمعت بأكباد لهم صَدَعت ... خوفاً من النار قد ذابت على النار
أما سمعت بأغلال تُناط بهم ... فيسحبون بها سحباً على النار
أما سمعت بضيقٍ في مجالسهم ... وفي الفرار ولا فرار في النار
أما سمعت بحياتٍ تدبُ بها ... إليهم خُلقت من خالص النار
أما سمعت بأجسادٍ لهم نَضجت ... من العذاب ومن غليٍ على النار
أما سمعت بما يُكلَّفون به ... من ارتقاء جبال النار في النار
حتى إذا ما علوا على شواهقها ... صُبوا بعنف إلى أسافل النار
أما سمعت بزقوم يُسوغه ... ماءٌ صديدٌ ولا تسويغ في النار
يسقون منه كؤوساً مُلِّئت سقما ... ترمي بأمعائهم رمياً على النار
يشوي الوجوه وجوهاً ألبست ظُلماً ... بئس الشرابُ شرابُ ساكن النار
إن يستقيلوا فلا تقال عَثرتهم ... أو يستغيثوا فلا غياث في النار
وإن أرادوا خروجاً رُدّ خارجهم ... بمقمع النار مدحوراً إلى النار
فهم إلى النار مدفوعون بالنار ... وهم من النار يهرعون للنار
فهذه صدعت أكباد سامعها ... من ذي الحجا ومن التخليد في النار
فيا إلهي ومن أحكامه سبقت ... في الفرقتين من الجنات والنار
رحماك يا ربِّ في ضعفي وفي ضعتي ... فما وَجُودِكَ لي صبرٌ على النار
ولا على حرِّ شمسٍ إن برزتُ لها ... فكيف أصبر يا مولاي للنارِ

فقد ســـألتك بالهادي محمد نا حســنَ الختام فبعدني عن النار

قَصِيدَةُ «الـمَوْتُ يَهجُمُ»

المَوتُ يهجُمُ والأحبةُ ترحلُ والنفسُ تدري ما المآلُ وتغفُلُ
فاغسل فؤادك من ذنوبك قبل أن يأتيك يومٌ يا ابنَ آدمَ تُغســلُ
وانزل إلى تلكَ المقابرِ واعتبر واعلم بأنك لا مَفرَّ ســتُنزَلُ
واســأل إلهك توبة بتذلل فَلأنتَ عمَّا قد فعلتَ ستُسألُ
ما لي أرى عينيَّ يهجرُها البكا واللينُ مِن قلبي يموتُ ويُقتَلُ
يا حسرتي في البُعدِ عن أهلِ التقى بيني وبينهمُ حِجابٌ مُسدَلُ
فمتى سأصحو من سُباتٍ مُظلمٍ ومتى سيرتعدُ الفؤادُ ويَوجَلُ

فهرست المواضيع